مقالات وخاطرات

الجزء الأول

د. يحيى مصري

blx
تصميم مطبوعات ورقية وإلكترونية

مقالات وخاطرات ١

مقالات وخاطرات

الجزء الأول

د. يحيى مصري

جميع الحقوق محفوظة للناشر

اسم الكتاب: مقالات وخاطرات
المؤلف: د. يحيى مصري
القطع: ١٧ × ٢٤
عدد الصفحات: ٢٠٨
السمة: نسخة إلكترونية
إصدار: المؤلف
١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

مقالات وخاطرات

د. يحيى مصري

الإهداء

إلى الدعاة إلى الله في كل مكان، عسى أن يكون مضمون الكتاب رافداً لهم في منهجهم ومسيرتهم، ونبراساً يبدد ظلمات التبس فيها الخطأ بالصواب، ومفتاحاً للأبواب قلوب أغلقها التشدد وصدها الغلو.

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على حبيبنا وقرة أعيننا ورسولنا وهادينا ومعلِّمنا محمَّدٍ رسول الله، وعلى آله وصحبه، أمَّا بعد:

فقد اطَّلعت على مسودة كتابٍ لأستاذي الدكتور يحيى مصري، وبدأت في قراءة موضوعاته قراءةَ متصفِّحٍ، فلم أستطع الفكاك منها إلا بعد أن أنهيتها، إذ صاغها مؤلفها بأسلوب سلس مشوق.

وقد كان سُداها الإسلام بوصفه واقعاً معاشاً لكلِّ مسلم، ولُحمتها موضوعات منوعة تهم المسلمين، جاوزت الثمانين موضوعاً، ولا بد أن كل مسلم تعرض لها كلها أو لجزء منها.

وما يميز تلك الموضوعات، التي تمثل «مقالات وخاطرات»، أنّ صاحبها، إضافة إلى تخصصه العلمي، وتمكنه في مجاله، عاش في بيئات مختلفة، إذ إنه عاش شطراً من حياته وريعان شبابه في المملكة العربية السعودية، معلّمًا ومتعلّما، فنال شهادتي الماجستير والدكتوراه، وخالط علماءها وجالس مثقفيها، ثم درَّس في جامعة حلب مسقط رأسه ومحل تكوينه العلمي الأولي، ثم انتقل إلى ليبيا وعلَّم في جامعاتها، وانتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليقيم هناك أكثر من ٣٠ عاماً وما يزال.

وهذا التنوّع في البيئات الاجتماعية والثقافية أعطاه ملكة استنباط الأسئلة المتنوعة بتنوع البيئات التي عاش فيها، ومقدرة الإجابة عليها، فصاغها بأسلوبه العلمي الرصين مرجّحاً ومعارضاً، ناصحاً ومعلماً، واضعاً الحلول المستوحاة من معرفته وعلمه وتجاربه وقراءاته واطلاعه.

ولذلك فقد استأذنت أستاذي أن أقوم بنشر هذا الكتاب في جزئه الأول إلكترونياً، وأسأل الله تعالى أن يقدّرني على رد جزء من معروف هذا الرجل الذي أحمل له كثيرَ ودٍّ وعظيمَ تقديرٍ، وكان لي خير ناصح ومعلم في علوم النحو والصرف والمكتبة العربية وتاريخ النحو، بجامعة حلب يوم أن كنا طالباً وأستاذاً.

إذن فهي فرصة عظيمة لي أنتهزها لأقدّمَ خالص الشكر لأستاذي الدكتور يحيى مصري على ما تفضَّل به من كرمٍ ليس عليه بغريب، إذ أذِن لي بالاعتناء بكتابه، وأن أقدّم له هدية أشرف بأن يتقبلها مني، وهو صاحب الفضل والسبَّق على الدوام، آملاً أن يغفر الله لي تقصيري مع أصحاب الفضل من أساتيذي، فهو وليُّ ذلك والقادر عليه.

الثلاثاء/ ١٢ رجب/ ١٤٤٢ هـ
الموافق ٢٤ شباط (فبراير) ٢٠٢١م

د. حسين الحسن

عالمية الإسلام

* المستقبل للإسلام

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[١]. فسبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾[٢]. هاتان الآيتان بشارتان بأن المستقبل للإسلام بظهوره وحكمه على الأديان كلها، بدليل الأحاديث الثلاثة التالية:

الأول: ﴿إنَّ اللهَ زَوى (أي جَمَعَ وَضَمَّ) ليَ الأرضَ فَرَأيتُ مَشارِقَها وَمَغارِبها وَإنَّ أمَّتي سَيَبْلُغُ مُلكُها ما زُوِيَ لي مِنها﴾[٣].

الثاني: ﴿لَيَبْلُغَنَّ هَذا الأمرُ ما بَلَغَ اللّيلُ وَالنّهارُ وَلا يَترُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلا وَبَرٍ إلا أدْخَلَهُ اللهُ هذا الدّينَ بِعِزّ عَزيزٍ أو بِذلّ ذَليلٍ عِزّاً يُعِزُّ اللهُ بِهِ الإسلامَ وَذلّاً يُذلُّ بِهِ الكُفرَ﴾[٤].

الثالث: ﴿... سُئِلَ رسول الله ﷺ أيُّ المدينتيْنِ تُفتحُ أولًا أقسطنطينيّة أو روميّة؟ فقال ﷺ: مدينةُ هِرَقْلَ تُفتَح أوّلاً، يعني قسطنطينة﴾[٥].

---

[١] سورة الصف: ٩.
[٢] سورة الفتح: ٢٨.
[٣] صحيح مسلم ج٨، ص١٧١، وأبو داود برقم ٢٥٢٤. والترمذي ج٢، ص٢٧، وابن ماجة برقم ٢٩٥٢، وأحمد ج٥، ص٢٧٨ و٢٨٤.
[٤] صحيح ابن حبان، برقم ١٦٣١ و١٦٣٢.
[٥] رواه أحمد ١٧٦/٢، والدارمي ١/ ١٢٦.

لقد تحقق فتح القسطنطينة على يد محمد الفاتح العثماني ـ كما هو معروف ـ وذلك بعد أكثر من ثماني مئة عام من إخبار النبي ﷺ بالفتح. أما «رومية» فهي روما، كما في «معجم البلدان» وهي عاصمة إيطاليا اليوم، وسوف يتحقق الفتح الثاني (روما) بإذن الله تعالى، وهذه بشارتي لكم:

أعلن الدكتور محمد معروف الدواليبي أن لديه وثيقةً صادرة عن الفاتيكان تقر فيها بأن المسيح ـ عليه السلام ـ عبدٌ من عباد الله، ولا علاقة له بالألوهية. وقد أصدر الفاتيكان هذه الوثيقة بعد دراسات كنسية ظلت أربع سنين كاملة، شارك فيها عدد من الرجال الثقات...

وأضاف أن الوثيقة تتضمن تعليمات صريحة بألّا يُذكر فيها المسيح على أنه الإله، وإنما يذكر فيها الله خالق السماوات والأرض ورب إبراهيم. والغريب أن هذه الوثيقة اعترفت بأن الكنيسة ارتكبت مظالم ضد الإسلام والمسلمين، وأنه يجب الانفتاح في هذه الأيام على الإسلام!

كما أبدت الكنيسة أسفها على أنها كانت من وراء الحروب الصليبية، ثم من وراء الاستعمار العالمي الجديد للدول الإسلامية، وأنها كانت من وراء قيام إسرائيل لضرب العروبة والإسلام، والواجب أن يدخل النصارى في حوار مع العرب والمسلمين لمعالجة هذا الماضي السيء...

قال الدكتور الدواليبي: إن اليهود بوسائلهم الكثيرة سحبوا هذه الوثيقة، وقد وضع الأمير «جيه» رئيس المخابرات الإنجليزية الأمريكية كتاباً فضح

فيه ما صنع اليهود، فخطفوه هو وزوجته وأولاده...[٦]

إن لواء الدعوة إلى الله ممتد إلى آخر الدهر، ومعقود لصاحب الرسالة العظمى سيدنا وحبيبنا محمد ﷺ، الذي صنع بالقرآن أمة مَهمتها أن تبلغ الوحي، وتصنع به أمماً على غرارها. ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[٧].

وسيكشف المستقبل كثيراً عن مستقبل الإسلام ومستقبل الكفر في هذه الدار المحدودة وفي ما بعدها ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٨].

إن أمة الإسلام اليوم تمتلك ثمانين في المئة من ثروات العالم، وحتى يمكّن لها وتستعد لآخرتها لا بد أن تجمع بين إيمانٍ واضحٍ وعملٍ صالحٍ وسلوكٍ راشد.

ـ إن العلم النظري بوحدانية الله لا يكفي، فقد كان إبليس يعلم أن الله واحدٌ أحدٌ، غير أنه رفض الخضوع له والامتثال لأمره فهوى.

ـ إن المسلمين في هذا العصر في حاجة إلى أن يفهموا هاتين الآيتين:

﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[٩].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾[١٠].

---

٦ نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، للشيخ الغزالي، ص٧٥.
٧ سورة النمل: ٩١.
٨ سورة النمل: ٩٣.
٩ سورة الشورى: ١٣.
١٠ سورة الصف: ١٤.

ـ إن المسلمين في هذا العصر في حاجة إلى قراءة علوم حضاراتهم واستيعابها جيداً.

ـ إن المسلمين في هذا العصر يحتاجون إلى عبقريات علمية تحسن العرض، وبطولات عسكرية تحسن الدفاع.

ـ إن المسلمين هذه الأيام في حاجة إلى جهاد اقتصادي لحراسة الأمة الإسلامية وأدائها لرسالتها، وهذا الجهاد لا يتحقق إلا بالانسحاب من كل المؤسسات التي تدّعي العالمية، من مثل:

الأمم المتحدة، وصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي عامة، ومنظمة التجارة العالمية خاصة؛ لأنها شريكة في مؤامرة عالمية تسعى لفرض سيطرة العالم الغربي المتقدم على دول العالم الثالث، ثم السعي إلى إنشاء سوق مشتركة...

ـ إن المسلمين اليوم في حاجة إلى فهم عميق، ينبغي لهم ألّا يخوضوا في المسائل الفرعية الاجتهادية، وليس هناك صواب وخطأ إطلاقاً...

ما زرع أحد تفاحاً وأخرج الله له بصلاً. ما يجني أحد إلا ما غرس. قال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[١١]. وقال رسول الله ﷺ: ﴿كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيتِهِ﴾[١٢].

---

[١١] سورة الصافات: ٢٤.

[١٢] صحيح البخاري، برقم ٢٥٥٤

الإسلام والسلام

١ ـ إن البشرية أسرة واحدة، جمعتهم العبودية لله تعالى والبنوة لآدم، وهم سواء في الكرامة ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[١٣]، وفي أصل التكليف والمسؤولية ﴿يا أيُّها النّاسُ...﴾[١٤].

٢ ـ لقد اعتبر الإسلام الناس جميعاً أمة واحدة، والإنسانية تجمعها، وإذا فرقت الأهواء فالأصل واحد، ومادام الأصل واحداً فالوحدة شاملة:

١- ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ...﴾[١٥].

٢- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ...﴾[١٦].

٣ ـ إذا كان الناس أمة واحدة فإن الأخوّة الإنسانية يجب وصلها ولا يصِح قطعها. والإسلام لا ينهى عن صلة من لا يعتدي على المسلمين، والإحسان إليهم: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[١٧].

٤ ـ إن خَلق الناس من ذكر وأنثى، وجعلهم شعوباً وقبائل، لم يكن ليختلفوا ويتقاتلوا، ولكن ليتعارفوا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ

---

[١٣] سورة الإسراء: ٧٠.

[١٤] ورد الخطاب إلى الناس في كثير من المواضع في القرآن الكريم، منها في سورة البقرة: ٢١، ولقمان: ٣٣، وبها افتتح سورتي النساء والحج.

[١٥] سورة البقرة: ٢١٣.

[١٦] سورة النساء: ١.

[١٧] سورة الممتحنة: ٨.

وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا...﴾[١٨]، الآية.

٥ ـ إن التعاون الإنساني مبدأ عام في كل الجماعات الإنسانية: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[١٩]، الآية.

٦ ـ أعلن الإسلام أن الله يمد بالقوة كل من يعاون أخاه، ففي الحديث الشريف: ﴿واللَّهُ في عونِ العبدِ ما كانَ العبدُ في عونِ أخيهِ﴾[٢٠].

٧ ـ لا ضغط على الحريات، ولا إكراه في الدين، ولا فرض للأفكار والمعتقدات ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾[٢١]، ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[٢٢]، ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾[٢٣]، الآيات.

٨ ـ دعا الإسلام إلى السلام العام بين جميع البشر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾[٢٤]، الآية.

٩ ـ لا صلاح للبشرية ولا سعادة لها إلا بالسلام المبني على الحق والعدل للجميع: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾[٢٥]، الآية.

١٠ ـ تحية المسلمين لبعضهم ولغيرهم هي لفظة «السلام»: «السلام عليكم» للمسلمين، و«السلام على من اتبع الهدى» لغير المسلمين.

---

[١٨] سورة الحجرات: ١٣.
[١٩] سورة المائدة: ٢.
[٢٠] صحيح مسلم، برقم ٢٦٩٩.
[٢١] سورة البقرة: ٢٥٦.
[٢٢] سورة يونس: ٩٩.
[٢٣] سورة هود: ٢٨.
[٢٤] سورة البقرة: ٢٠٨.
[٢٥] سورة النحل: ٩٠.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾[٢٦] يشمل سائر التحيات المتبادلة.

١١ ـ أُمِر المسلمون إذا خرجوا من صلاتهم أن يخرجوا بلفظة «السلام عليكم ورحمة الله» يقولونها مرتين على اليمين وعلى اليسار؛ إشعاراً بأنهم يتجهون في معاملتهم لبعض ولغيرهم من طريق السلام.

١٢ ـ إن الإسلام دار السلام، وربنا سبحانه هو السلام ومنه السلام.

١٣ ـ لفظة «السلام» في القرآن الكريم وردت في أكثر من مئة آية، على حين لم تذكر كلمة «حرب» إلا في ست آيات فقط.

١٤ ـ إن السلام والسلم من صميم الإسلام وتعاليمه الثابتة ومقاصده السامية، في حين تعد الحروب من الحالات الاستثنائية في العلاقات الدولية الإسلامية.

وورد في سورة البقرة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾[٢٧].

١٥ ـ دعا الإسلام في نطاق قيام صرح دعائك العلاقات الإنسانية إلى التسامح غير الذليل: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ...﴾[٢٨]، الآية.

---

[٢٦] سورة النساء: ٨٦.
[٢٧] سورة البقرة: ٢١٦.
[٢٨] سورة فصلت: ٣٤.

١٦ ـ إن من أسس العلاقات الإنسانية في الإسلام التمسك بالفضيلة، سواء أكانت بين الأفراد أم بين الجماعات، وسواء أكانت العلاقات في حال السلم أم في حال الحرب.

١٧ ـ إن سمة الإسلام هي العدالة، وهي شعاره وخاصته، والعالم لا يصلح إلا إذا كانت العدالة ميزان العلاقات الإنسانية في حل مشكلاتها.

١٨ ـ إن السبيل إلى استقرار السلام هي معاهدات الأمان، وهذه المعاهدات لا تستمد قوتها من نصوصها، بل من عزيمة عاقديها على الوفاء:

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[٢٩].

[٢٩] سورة النحل: ٩١.

الوصايا العشر في الإسلام

أيها الأحبة: سورة الفرقان شرعت في سرد وصايا عشر، هي خصائص عباد الرحمن، وهذه الوصايا تُضم إلى أمثالها في سورة أخرى، لتتكون من جملتها صورة السلوك الإسلامي الوضيء:

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[٣٠]. والمشي الهون لا يعني البطء أو التهاون، وإنما يعني الاعتدال وعدم التكلف...

ومخاطبة الجاهلين للناس تنطوي على الشراسة، فلنَلقَ الخصام بالسلام والتجاوز، فالأمر كما قيل:

لو كلُّ كلبٍ عوى ألقمْتَهُ حَجَراً لأصبح الصخرُ مِثقالاً بدينار[٣١]

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾[٣٢]. لا بد من نوم يحجم الجسد ويعين على العمل! والمهم ألا ننام عن صلاة العشاء ونوافلها، وأن نستيقظ قبيل نداء الفجر نستفتح النهار بخير، فإذا صلى المرء العشاء في جماعة، والفجر في جماعة، فكأنما قام الليل كله...

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾[٣٣].

---

[٣٠] سورة الفرقان: ٦٣.
[٣١] البيت مجهول القائل سار مسار المثل.
[٣٢] سورة الفرقان: ٦٤.
[٣٣] سورة الفرقان: ٦٥.

إنها غرامة مهلكة يصحبها الخزي والبلاء المقيم. وينبغي لكل مؤمن أن يزحزح نفسه عن ذلك المستقبل الأسود، ويقاوم تيارات الجاهلية الحديثة التي تعلقه بالدنايا، وتذهله عن الواجبات.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[٣٤].

إن البخل خسة، والإسراف سفه. ويعجبني قول المتنبي، الذي جمع ثلاث حكم في بيت واحد:

ذِكْرُ الفتى عُمرُه الثاني، وحاجتُه ما قاتَهُ، وفُضول العيش أشغالُ

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ﴾[٣٥].

هذه جرائم ثلاث تنتشر بين الناس على تفاوت، قد يكون أولها الزنى، ثم عبادة النفس والهوى مع الله أو من دون الله، ثم قتل النفس. ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾[٣٦].

ومن أساء يستطيع الإحسان، ومن أسفّ يستطيع التوبة، والتوبة معروضة على الناس كلهم ما بقوا أحياء، وعندما يغيرون أنفسهم يتغير ما بهم...

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾[٣٧].

المشغول بالجد والمربوط بالحق لا يشهد زوراً ولا يقول لغواً...!

---

[٣٤] سورة الفرقان: ٦٧.
[٣٥] سورة الفرقان: ٦٨.
[٣٦] سورة الفرقان: ٦٨، ٦٩.
[٣٧] سورة الفرقان:٧٢.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾[٣٨].

إن تلاوة القرآن تتطلب يقظة القلب، وحضور الوعي، وتذوق المعاني، وشهود المتكلم سبحانه. فمن قرأ وهو غائب الفؤاد لم يستفد منهجاً وسلوكاً من حركة اللسان شيئاً.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[٣٩].

أي: قدوة، وليس طلباً للرياسة. واستقرار العين على الزوجة أساس العفاف والطهر. واستقرارها على الذرية أساس الرضا وحصانة من الحسد.

﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾[٤٠]

المنزلة الرفيعة في الجنة. جعلنا الله من أهلها بتجاوزه ومغفرته...

---

[٣٨] سورة الفرقان: ٧٣.
[٣٩] سورة الفرقان: ٧٤.
[٤٠] سورة الفرقان: ٧٥.

الإسلام والنظريات الحديثة

إن النظريات الحديثة قسمان: نظرية تتعارض مع صريح القرآن الكريم، فهذه مردودة بلا نزاع، كنظرية ثبوت الشمس، مع قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾[٤١].

ونظرية لا تتعارض مع نص القرآن ولم ينص عليها. وليس لدينا من وسائل العلم ما يؤيدها أو يرفضها. فالأولى أن يكون موقفنا موقف التثبت ولا نبادر بحكم قاطع إيجاباً أو نفياً، وذلك أخذاً من قضية الهدهد وسبأ مع نبي الله سليمان، عليه السلام، لما جاء يخبرهم وكان، عليه السلام، لم يعلم عنهم سابقاً، مع أنه وصف حالهم وصفاً دقيقاً. وكان موقفه، عليه السلام، موقف التثبت، مع ما لديه من إمكانات الكشف والتحقيق من الريح والطير والجن، فقال للمُخبِر وهو الهدهد:

﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[٤٢]، الآية.

ونحن في هذه الآونة لسنا أشد إمكاناتٍ من نبي الله سليمان آنذاك، وليس المخبرون عن مثل هذه النظريات أقلَّ من الهدهد، فليكن موقفنا على الأقل موقف من سينظر أيصدق الخبر أم يظهر كذبه؟

---

[٤١] سورة يس: ٣٨.

[٤٢] سورة النمل: ٢٧.

إن الغرض من هذا التنبيه هو ألا نحمّلَ لفظ القرآن، في ما ليس هو صريحاً فيه، ما لا يحتمله، ثم يظهر كذب النظرية أو صدقها، فنجعل القرآن في معرِض المقارنة مع النظريات الحديثة، والقرآن فوق كل ذلك ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[٤٣]، الآية.

[٤٣] سورة فصلت: ٤٢.

الإسلام والغرب

إذا تحدثنا عن الإسلام والغرب، من ناحية العلوم والآداب والتجارب والحضارة، فإن الإسلام لم يمنع المسلمين من الاستفادة بما لدى الآخرين من خير، بل يدفعهم إليه، يدل على ذلك استفادة المسلمين من العلوم اليونانية والفارسية...

إن الإسلام يدين هذه الحالة في المسلمين، ويدعوهم في الوقت نفسِه إلى الاستيقاظ والاستفادة مما لدى الغرب من علوم وتجارِب وصناعات تثري حياتهم، حتى يأخذوا مكانهم الذي وضعهم الله فيه ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[٤٤]، الآية.

إن الله تعالى قد أمر المسلمين أن يُعدوا العدة، ويحصّنوا أنفسهم وبلادهم بالقوة، قوةِ الإيمان الذي حصل فيه خللٌ هذه الأيام ففوتوا على أنفسهم التمكينَ في الأرض، ونَصْرَ الله لهم. وقوة السلاح المتنوع الحديث، حتى يتمكنوا من إدخال الهلع والفزع في قلوب الأعداء على اختلاف أصنافهم: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[٤٥]، الآية.

إن أهم وسيلة في التقدم والسيطرة الآن هي العلم والتقنية القائمة عليه، فلا حياة كريمة بغير القوة، ولا نفوذ لكلمة من غير أن تدعمها قوة، ولا اعتبار

---

[٤٤] سورة آل عمران: ١١٠.
[٤٥] سورة الأنفال: ٦٠.

لأمة إلا إذا كان لديها قوة.

إن سياق النكرة في الآيتين السابقتين «أمة»، «قوة»، يدل على الكَثرة والتفخيم، فأمة الإسلام خير الأمم والشعوب، وإعداد القوة المعنوية المتمثلة بالإيمان الداعي إلى توحيد الصفوف ورأب الصدع، والقوة المادية... أمرٌ مهم ومطلوب.

إن الأمة التي لا توفر لنفسها الاكتفاء الذاتي في كل عناصر القوة ستظل ضعيفة في حاجة إلى غيرها، مستذلة لها، يمكن أن يخنقها في أي وقت يريد، ولو بقطعة صغيرة من «قطع الغيار».

متى كان نشدان العلم يحدَّدُ بِوَطَنٍ؟ إن العلم لا وطنَ له، فكل أمة تتعلم من الأمم الأخرى. وما معنى قولِ الصادق المصدوق الذي لا ينطِق عن الهوى ﷺ: ﴿الْكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ المُؤْمِنِ فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا﴾[٤٦]؟ أليس سيدنا محمد ﷺ أفضلَ الأنبياء وخيرَ الرسل عند الله تعالى، وهو أسوتنا ومعلم الإنسانية؟

لقد أمر ﷺ زيدَ بن ثابت أن يتعلم اللغة العبرية من اليهود، حتى يتفاهم معهم، ويكون ترجماناً...

وأخذ في الحرب بما عند الآخرين من تجارب (سلمان والخندق)... إنه إذا بقيت حالنا على ما نحن عليه، فإننا مفرّطون ومقصّرون، فكيف نكون: ﴿قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾[٤٧] حرّاساً للعدل إذا لم نضع أنفسنا في المكان

---

[٤٦] سنن ابن ماجه برقم ٤١٦٩.

[٤٧] سورة المائدة: ٨.

اللائق الذي أراده الله لنا ؟ الحقيقة نحن عُزّل من السلاح مغلوبون على أمرنا، والمغلوب ـ كما يقول ابن خلدون ـ مولَعٌ بتقليد الغالب، بل سيبقى تابعاً له مادامت هذه حاله، وسوف ينشد الحق عند أهل الباطل، وهذا واقع لا ينبغي أن ننكره، ولهذا فسلبية الضعف فينا، وسلبية التبعية عندنا تَبعَاً لضعفنا سوف يعمّقان الشعور بالنقص عند مختلِف الفئات، بما فيها الفئةُ الواعية الناضجة، ولذلك فالوقت يمضي ونحن نخسر الوقت، وغدا سنُسأل: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[٤٨] الآية.

ونخسر كذلك المال، وما أدراك ما المال؟ إنه الفتنة عندنا لا النعمة، يقول ﷺ: ﴿إنَّ لكلِّ أُمَّةٍ فتنةً وإنَّ فتنةَ أُمَّتي المالُ﴾[٤٩]. ويقول ﷺ: ﴿اثْنَتَانِ يَكْرَهُهُمَا ابْنُ آدَمَ: الْمَوْتُ، وَالْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الْفِتْنَةِ، وَيَكْرَهُ قِلَّةَ الْمَالِ، وَقِلَّةُ الْمَالِ أَقَلُّ لِلْحِسَابِ﴾[٥٠].

نعم إن حب الدنيا، وكراهية الموت، وإصابتنا بداء الأمم من أشَرٍ وبَطَرٍ وتكاثُرٍ وتَناجُش في الدنيا، وتباغُض وتحاسُد، أدى كل أولئك إلى البغي، فنزع الله من صدور أعدائنا المهابةَ منا، وقذف في قلوبنا الوهن، فصِرنا إلى ما نحن فيه وإليه.

نَعَمْ، إن أمة محمد ﷺ أمةٌ مرحومة لن تخلد في النار، لكن عذابها في هذه الدنيا: الفتن، والزلازل، والقتل. يقول ﷺ: ﴿أمّتي أمّةٌ مَرحومة، ليس لها

---

[٤٨] سورة الصافات: ٢٤.
[٤٩] صحيح الترمذي، برقم ٢٣٣٦.
[٥٠] مسند أحمد بن حنبل، برقم ٢٣٦٧٤.

عذابٌ في الآخرة. عذابُها في الدُّنيا: الفتن والزلازل والقتل﴾[٥١].

أيها الإخوة! لا بد من الوعي بالماضي ثقافةً وتراثاً وتاريخاً، لا بد من الوعي بثقافة الإسلام القائمة على مِحور التوحيد، المجسّد في مسار الإنسانية، كالحرية والعدل والمساواة.

لا بد من الوعي بهذا الحاضر الذي نعيشه، فلا نستعدي الآخرين علينا، ونبخسهم أشياءَهم، بل نكون منصفين قوامين بالقسط ولو على أنفسنا، ذلك بأن التديّن قوة وبصيرة، لا وهن أو غباء.

إن باب الاجتهاد مفتوح للراسخين في العلم من أهل الاختصاص، لا الغلاة أو المتسرّعين، أو قليلي البضاعة من العلم، ليقولوا على الله ما لا يعلمون. في حياتنا مستجدات، ولهذا يجب أن نجتهد لزمننا، كما اجتهد السابقون لزمنهم، وأن نعالج واقعنا بعقولنا لا بعقولهم، غيرَ مقيَّدين إلا بقواطع الشريعة ومحكمات نصوصها وكلّيات مقاصدها.

إذا قلنا بتكفير مسلم لا يصلي، فإنه لا يحِل لزوجته المسلمة أن تكون في عصمته، لأنه غدا كافراً، ويترتب على تكفيره أمور، ولهذا وجب الاحتياط كل الاحتياط عند الحكم بتكفير مسلم ثبت إسلامه؛ لأنه مسلم بيقين، ولا يُزال اليقين بالشك؛ لأن من أشد الأمور خطراً تكفير من ليس كافراً. وقد حذّرت من ذلك السنةُ النبوية أبلغ التحذير «من كفّر مسلماً فقد كفر»[٥٢]

---

[٥١] سنن أبي داود، نقلاً عن سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢ ـ ٦٨٤.

[٥٢] لقول النبي ﷺ: ﴿أيُّما رجلٍ مسلمٍ أَكْفَرَ رجلًا مسلمًا فإن كان كافرًا وإلا كان هو الكافرَ﴾. رواه أبو دوود، برقم ٤٦٨٧.

مع التذكير بأن الخوارج هم الذين يكفّرون مرتكب الكبيرة.

كلنا يعلم أن معظم زيجات النصارى في أمريكا لا ترتبط بكنيسة، وهَبْ أنها مرتبطة، فإنها صُورية؛ لأن المرأة قد تكون حُبلى عندما تذهب مع صاحبها إلى الكنيسة من أجل عقد الزواج... ثم أنجب الأزواج الأولاد. والآن ما حكم الشريعة الإسلامية على هؤلاء الأولاد الذين غدا أبوهم، أو أمهم مسلماً؟ لا بد أن نفهم الإسلام فهماً ولا نلوكه لوكاً فنتبع الأشخاص لا الدليل، ونعرف الحق بالرجال، ذلك بأن الحق أحب إلينا من كل حبيب، كائناً من كان، والله المستعان.

يا أيها الناس: إن اختلافكم في الأديان وفي الإيمان من مقتضيات الإرادة الإلهية التي لا تخلو من الحكمة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾[٥٣]، وقال سبحانه﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[٥٤].

وإن مشيئة الله سبحانه نافذة، وهي مرتبطة بحكمته، فكيف يقاوم المرء مشيئة ربه وينكر حكمته؟! إذا كان الله سبحانه وتعالى قد أمر سيدنا محمداً ﷺ أن يتجنب اللجاجة في الجدل مع المخالفين، وأن يَكِلَ أمرَهم إلى رب العالمين، فلماذا هذا الجدلُ المذموم الذي يبعث على الفتن، ويُوغر الصدور، ويورث الأحقاد؟

---

[٥٣] سورة هود: ١١.

[٥٤] سورة يونس: ٩٩.

﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[٥٥].

﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[٥٦].

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٥٧].

إنه لن يكون إيمانٌ بغير محبة وحسن الظن، فأما الاستعجالُ والجهل فهما توْأمان، فليقبعا في كهف الظلام.

---

[٥٥] سورة الحج: ٦٨ و٦٩.
[٥٦] سورة الزمر: ٤٦.
[٥٧] سورة التغابن: ٢.

كيفية تصحيح صورة المسلمين والإسلام في العالم

* المرحوم مصطفى العقاد: المخرج السينمائي صاحب فيلم الرسالة قال: «كل ما أحتاج إليه هو ثمن طائرة واحدة لإخراج فيلم يقلب آراء الأمريكان والغرب عن الإسلام رأساً على عقب».

* السيناتور الأمريكي (بول فندلي) قال بضرورة:

١ـ وضع إعلانات عن الإسلام في قنوات التلفزيون الأمريكي.

٢ ـ ودعم تلك الإعلانات بإقامة علاقات عامة تروّج للقيم الإسلامية.

* د. عبد الحليم: أكد ضرورة تخصيص أوقات في أمريكا وبريطانيا وأوربة لبرامج تلفزيونية وإذاعية باللغات المتعددة - بحسب كل دولة - وترجمة النصوص الإسلامية ونشرها بين الغربيين. وقد أيده في ذلك متكلم آخر هو وزير الخارجية الألماني هلمونت سكافر، الذي دعا إلى إعداد أفلام سينمائية عن الإسلام والمسلمين.

* الدكتور عبد العزيز السويّل: أكد أهمية دور التعليم في إعداد الفهم الصحيح للإسلام، ودعا إلى تأسيس منظمة يترأسها لهذا الغرض ولي العهد البريطاني الأمير تشارلز، مع الاستفاذة من تجارب البوسنيين والبولونيين والفلنديين المسلمين.

هنا نقدٌ موجه إلى دعاة والإعلاميين من المسلمين في حملتهم لتحسين صورة الإسلام والمسلمين:

١ ـ إصدار شتى المطبوعات التي تستشهد بالنصوص الإسلامية التي تتعلق بالسلام واللاعنف والخير وتجنّب القتل والإرهاب والتدمير والعدوان على النفس والمال.

هذه مضيعةٌ للوقت؛ لأن جميع الأديان داعية إلى هذا...

والبديل: المسلمون أقل الناس ارتكاباً للجرائم، وأقلهم تعاطياً للمخدرات وإدماناً على الكحول واشتراكاً في الدعارة ـ نسبة الأولاد غير الشرعيين بينهم تكاد تكون صفراً. أولادهم حريصون على الدرس والسلوك الحسن، ويحققون نتائج عالية، ونسبة الانتحار منعدمة، ونسبة الوقوع في الأمراض النفسية والعقلية منخفضة جداً، وحياتهم العائلية مفخرة...

المسلمون في الخارج

٢ مليون مسلم في ألمانيا.

٣,٥ مليون مسلم في فرنسا.

١ مليون مسلم في بريطانيا.

٧ ملاين مسلم في أمريكا.

سؤال: ما الحل لهذه الأقليات المسلمة؟

١ ـ العودة إلى الوطن الأم في دار الإسلام: حيث يستطيع أن يؤدي شعائره الدينية كاملة غير منقوصة أو مُشابةٍ بشيء.

لأن: أ ـ كل المعاملات في الغرب تجري في إطار الفائدة.

ب ـ المدارس مختلطة، وفيها ما فيها من جنس وكحول وحرية مطلقة...

ج ـ إذا تحاشى المسلم أكل لحم الخنزير فلن يستطيع أن يتحاشى مشتقاته التي تتخلل كثيراً من الأكلات، بما فيها الحَلْوَيات والمعجّنات والكعك.

٢ ـ تحاشي ذلك ببقائهم متقوقعين بالقرب من المساجد والمراكز الإسلامية، واشتغالهم بالبيع والشراء والمِهَن الحرة، وإرسال أولادهم إلى مدارس إسلامية خاصة، والأكل من مطاعم إسلامية، وشراء اللحم الحلال من دكاكين خاصة، والتعامل مع المصارف الإسلامية، ولبس الملابس الإسلامية...

ـ هؤلاء لا يسهمون في الحياة السياسية والشؤون العامة لموطنهم الجديد.

ـ لا يتبرعون بأي شيء للجمعيات الخيرية...

ـ لا يتبرعون بدمهم لبنوك الدم، ولكنهم ينتظرون أن تعطيهم المستشفيات ما يلزمهم من دم عندما يحتاجون إليه، ويجلسون يشتمون المجتمع الذي آواهم وأطعمهم وعالجهم.

ـ لا يقومون بأي عمل مفيد لمنطقتهم.

ـ يتهربون من دفع الضرائب.

ـ يتحايلون على القوانين والأنظمة.

ـ إذا كانت صورة العالم الإسلامي أمراً يصعب تصحيحه في نظر الغرب، فإن تصحيح صورة الاغتراب الإسلامي أسهل وأيسر، ويمكن تحقيق ذلك في مراحل ثلاث:

١ ـ تثقيف الدعاة وأئمة المساجد ووعّاظها وتنويرهم بأهمية الاندماج والمشاركة والمواطنة (Green Card) في المجتمع الجديد، وفهم القوانين والدساتير جيداً...

٢ ـ تثقيف هذه الأقلية المسلمة تثقيفاً يجعلهم يتحاشَون التقوقع، ويعملون على الاندماج والمشاركة في حياة وواجبات المجتمع الجديد، ويصبحون مواطنين فيه لا متطفلين عليه.

٣ ـ تقديم الصورة الجديدة لهذه الأقلية المسلمة بوصفها طائفة مشرّفة متحضرة وواعية متطورة مخلصة وصادقة، تجلب إلى البلاد كثيراً من الخيرات والثروات (المسلم في الاغتراب سفير دينه وسفير وطنه).

ـ ضرورة الاهتمام بالفنون والأدب والفِكر والعلم، والإعجاب بالمنجزات:

عندما يرى الغربيون عربياً أو مسلماً يؤلف مسرحيات تبز مسرحيات آرثر ميلر، أو ينافس منوحين في عزف الموسيقى، أو يفوق شاغال في رسومه التشكيلية، فإن نظرتهم إلى الإسلام والعرب والمسلمين ستتغير تماماً.

أخيراً، مشكلة صورة المسلم والإسلام في الغرب لن تُحل بمجرد النشر وعرض الأفلام وعقد الندوات. فإنها مسألة تتوقف أولاً وآخراً على ما يقوم به المسلمون من أفعال، وما يتطلبه ذلك من نصيحة وإصلاح.

حال أمتنا الإسلامية

أيا خيرَ شهر لا تلُمني لأنني أعاني جروحاً لا يعالجها الصبرُ
أتيتَ إلينا والمصائبُ جمة فآلامُنا مدٌّ وآمالنا جَزْرُ
وأوراقنا صُفر بلون جلودنا وأشرارُنا كُثرٌ وإنجازنا صِفْر
فوا عجباً إن فارق الخير أرضنا ووا عجباً إن عربد الشرك والكفر
ووا عجباً أن ندمن العار والخنا وواعجباً أن يكثر الفر و الكر
نذبَّح مثلَ الشاة في كل موضع ونُسلَخ أحياءً وتَغلي بنا القِدْر
أيا رمضانَ القدر قد ضاع قدرُنا وأظلمت الدنيا ونَهتِف: يا بدر

أيها الأحبة: ألسنا خير أمة أخرجت للناس لهداية الناس؟ إذن ما الذي أصاب أمتنا الإسلامية، فلم تعد تستطيع مواجهة واقعنا الذي نعيشه بعز وكرامة؟

الجواب: إن أمتنا الإسلامية مصابة بخلل في الإيمان، إذ ليس الإيمان بالتمني والتسمي، بل الإيمانُ حال توجد في القلب وتؤثر في السلوك.

إن أمتنا الإسلامية مصابة بالجمود، نتيجة منهجِ الفكر المختل الذي خالطته الأهواء، ولا بد لتمكين الفكر الإسلامي من استيعاب العلوم والمعارف الحديثة، كي نستطيعَ اللَّحاق بركب الحضارة؛ لأن الفكر الإسلامي اليوم ليس في مستوى التحديات، وانظروا إلى التطور الإعلامي المتمثل بالأقمار الصناعية كيف غدا تحدّياً، وانظروا إلى الدور الخطير الذي يلعبه التنصّت...أليس هذا تحدّياً؟

إن المسلمين - حكاماً ودعاة وقاعدة - إن أرادوا أن يكون الإسلام هو دينَ المستقبل فعليهم أن يمَسّوا موضع الخلل:

- فيدركوا مثلاً المستوى الصناعي والحضاري الذي يسود العالَم من حولنا.
- ويدرسوا التياراتِ السياسيةَ والقوى العسكرية التي حظي بها الآخرون.
- ويدرسوا الكون؛ لأنه أهم ينابيع الإيمان، ويحسنوا استغلاله، فهو سلاح اقتصادي وعسكري.
- ويحاربوا الغِش الثقافي والانحرافَ الفكري اللذين أبعدا الأمة الإسلامية عن كتاب ربها وسُنة نبيها ﷺ.
- ويحولوا درسهم النظري إلى ميدان عمل تطبيقي يبنى على الحكمة.

إن جرعة النصيحة مُرة لا يقبلها إلا أولو العزم، وقد ودّك من نصحك، وجفاك من مشى في هواك، ومن اصفرّ وجهه من النصيحة اسودَّ لونه من الفضيحة.

يا أيها المسؤول: لتعلم أن هذا الذي أصبحت فيه سوف تُسأل عنه ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٥٨].

لقد آتى الله سليمان عليه السلام ملك الدنيا، ورفع عنه حساب ذلك فقال: ﴿هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٥٩].

فوالله ما عدها سليمان نعمة، كما عددتَ منصبك، ولا حسِبها كرامة، كما حسبت نفسَك مع منصبك، بل خاف أن تكون استدراجاً من الله ومكراً به،

---

[٥٨] سورة الحجر: ٩٣.
[٥٩] سورة ص: ٣٩.

فقال: ﴿هَٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾[٦٠].

أيها المسؤول، أعانك الله على نُصرة المظلوم وقضاء حاجات الناس، وأسأل الله أن يجعلك كهفاً للملهوف وأماناً للخائف...

ـ يا أيها الدعاة ادعوا إلى الله على بصيرة ضمن معرفتكم، وابذُلوا جهودكم أن يكون اجتهادكم واحداً، واجتهدوا لزماننا هذا كما اجتهد الأولون لزمانهم، وذلك بالفهم الصحيح والاستنباط الدقيق.

ـ إذا أخطأ العالم كلمة «لا أدري» وكلمة «الله أعلم» أصيبت مقاتله، ولَأنْ يعيشَ المرء جاهلاً خيرٌ من أن يقول على الله ما لا يعلم.

ولعل «لا أدري، والله أعلم» هي التي تحمي أمتنا من جرأة من يجسر على ادعاء العلم بكل شيء، ولم يخش سيدنا رسول الله ﷺ على الدين إلا من آفته، و«آفةُ الدِّينِ ثلاثةٌ: فَقيهٌ فاجرٌ، وإمامٌ جائرٌ ومجتَهدٌ جاهلٌ»[٦١].

أيها الدعاة: أعانكم الله على تبيان الحق، وسدد الله خطاكم، ولتسعكم كلمتكم الصادقة من نية صادقة، وإنكم لتعلمون علم اليقين بأن الفتوى عندما تصدُر عن جماعة تكون أفضلَ وأكمل للوصول إلى الحق، وهاكم مثالاً حياً:

ما رأيُ الإسلام في أسرة نصرانية مؤلفة من خمسة أطفال وأم وأب، ثم أسلمت هذه الأم، التي ليس لها عملٌ تأكل منه؟ هل تنفك عن أسرتها ولا يعلوها زوجها النصراني؟ وإلى أين ستذهب؟ إذا كان الجواب نعم، فلماذا نترك تارك الصلاة ينام مع زوجته ويعيش مع أسرته؟ لأننا قرأنا لبعضهم

---

[٦٠] سورة النمل: ٤٠.

[٦١] رواه أبو نعيم في «تاريخ أصبهان» ج٢، ص٣٠٢.

أنهم يكفّرونه، ويقولون: لا يُدفَنُ في مقابر المسلمين!

يا أيها الإخوة طلبة العلم الشرعي: كلكم تعلمون أن من شروط الاجتهاد التمكّن من علوم اللغة العربية، ولاسيما علم النحو والصرف، القائم في أمثلته الموضحة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والشعر والحكم والأمثال، وليس على: «أكل خالد التفاحة»، وليس الاختبار فيه بقول: استخرج من الجمل التالية اسم «إن» وخبرها... إلخ

ادرسوا معاني الأدوات، ولعل كتاب «دراسات لأسلوب القرآن» للمرحوم محمد عبد الخالق عضيمة خير كتاب يرشدكم ويعلمكم. هل تعلمون أن للّام ستةً وثلاثين مَعنى؟ هل تعلمون أن للباء أربعة عشرَ معنى؟ كيف تفهمون مقولة ابن عباس رضي الله عنهما: «إن إبراهيم لو قال لربه: نعم بدل بلى في الآية » ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ۖ قَالَ بَلَىٰ﴾[٦٢] لكان ذلك كفراً؟ لماذا؟

يا طلبة العلم الشرعي: هناك حديث لرسول الله ﷺ: ﴿كُلُّ أُمَّتي مُعافًى إلَّا المُجاهِرونَ﴾[٦٣] المجاهرون: هكذا بالرفع، كيف يكون إعراب «إلا المجاهرون»؟ أنا أقول لكم: إنكم إن لم تدرسوا فكرة عن القراءات القرآنية المتواترة وطريقة توجيهها لم تصيبوا الهدف.

يا طلبة العلم الشرعي: إن المسلم المعاصر اليوم قد كون فكرة عن الإسلام من خلال اضطراب أهواء أهله وجمود عقول الكثير منهم. إنكم هنا في أمريكا وتجاورون اليهود والنصارى. وفي الحديث ﴿أَحسِنْ مجاورةَ مَن

---

[٦٢] سورة البقرة: ٢٦٠.

[٦٣] رواه البخاري في صحيحه بلفظ «المجاهرين»، برقم ٦٠٦٩.

جاورَك تكنْ مُسلمًا﴾[٦٤] فكيف يكون الإحسان إلى جارك النصراني؟

أنا أقول: تخالطونهم وتجالسونهم وتؤانسونهم في سبيل دعوتهم إلى الله وشرح تعاليم الإسلام لهم... كما يجوز لكم مصاحبتهم وإظهار المودة لهم[٦٥]، ويجوز لكم أن تعودوهم إن مرِضوا، وأن تلبَسوا ثيابهم التي قد لبسوها إذا علم طهارتها، ويجوز أن تصافحوهم وتستعملوا ما صنعوه، ويجوز أن تسلموا عليهم بسلامهم، ويجوز أن تشمّتوهم إن عطسوا فتقولوا لهم: ﴿يهديكم الله ويصلح بالكم﴾[٦٦]، ويجوز أن تتعاملوا معهم في مسألة التجارة، ويجوز أن تهدوهم من أضحياتكم[٦٧]؛ لأن الهدية وسيلة عظيمة من وسائل الدعوة إلى الله وتحبب الآخرين في ديننا.

وأما قوله ﷺ: ﴿إنّي لا أقْبَلُ هَدِيّةَ مُشرِكٍ﴾ فإن لهذا الحديث مناسبة كان ينبغي أن تُفهم، ثم يفتى بالعدم[٦٨]. ويجوز أن تشيعوا جنائز جيرانكم الكفار؛ لأن أصحاب محمد ﷺ شيعوا جنازة أم الحارث بن ربيعة، وكانت نصرانية، دون أن ينكر ذلك أحدٌ منهم[٦٩].

يا طلاب العلم الشرعي: أتقنوا اللغة الأجنبية، وتفهّموا ثقافة الآخرين الاجتماعية، وكونوا مهذبين ولا تستعْدوا الآخرين عليكم تصلوا إلى تحقيق بُغيتكم وهي الدعوة الصحيحة المخلصة إلى الله سبحانه وتعالى.

---

[٦٤] أخرجه الترمذي، برقم ٢٣٠٥.
[٦٥] ابن جبرين، فتاوى المرأة ١٣/١.
[٦٦] رواه أبو داود، ٣٠٨/٤.
[٦٧] اللجنة الدائمة، ومنار السبيل، العدد٩، ص١٣.
[٦٨] البهيقي في دلائل النبوة مجلد غزوة بئر معونة ـ حلب.
[٦٩] المحلى، ١١٧/٥، وموسوعة عثمان، ص٣٢٦.

مصالح الشرائع

إن المصالح التي عليها مدار الشرائع ثلاث:

الأولى: درء المفاسد (الضروريات).

الثانية: جلب المصالح (الحاجيات).

الثالثة: الجري على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات (التحسينات والتتميمات). وكل هذه المصالح الثلاث هَدى فيها القرآنُ الكريم إلى الطريق التي هي أقوَمُ الطرق، وأعدلها.

١ـ درء المفاسد، إنما هو درؤها عن ستة أشياء: الدين، والنفس، والعقل، والنسب، والعرض، والمال.

٢ـ وجلب المصالح في جميع الميادين؛ لأن الشرع جاء بإباحة المصالح المتبادلة بين أفراد المجتمع على الوجه المشروع؛ ليستجلب كلٌّ مصلحته في الآخر، كالبيوع والإجارات والأكرية والمساقاة والمضاربة، وما جرى مجرى ذلك. قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾[٧٠]، وقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾[٧١]، وقال: ﴿إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾[٧٢].

إنه يجوز للمسلمين أن يتعاملوا مع غير المسلمين في مسألة التجارة مع

---

[٧٠] سورة الجمعة: ١٠.

[٧١] سورة البقرة: ١٩٨.

[٧٢] سورة النساء: ٢٩.

وجود رباهم واقتحامهم ما حرم الله سبحانه عليهم. قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٧٣].

ولا يخفى أن الطعام يشترى بالمال، ومال أهل الكتاب مصبوغ بالربا. وفي السنّة أن النبي ﷺ قد عامل اليهود، ومات ودِرعه رهنٌ عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير[٧٤].

قال القرطبي: «وهكذا، فقد اتفقت الأمة على جواز التجارة معهم، وقد سافر النبي ﷺ إليهم تاجراً، وذلك من سفره أمرٌ قاطع على جواز السفر إليهم والتجارة معهم»[٧٥].

٣ـ أما المصلحة الثالثة من المصالح التي عليها مدار الشرائع فهي الجري على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات، وقد جاء القرآن الكريم بذلك بأقوم الطرق وأعدلها، وكلنا يعلم أن أسوتنا إنما هو الرحمة المهداة سيدنا محمد ﷺ،الذي قال الله تبارك وتعالى فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٧٦]، ولذلك لما سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلقه ﷺ، قالت:

---

[٧٣] سورة المائدة: ٥.
[٧٤] صحيح سنن ابن ماجة ٨ ـ ٥٨.
[٧٥] الجامع لأحكام القرآن ٦ ـ ١٢ـ ١٣.
[٧٦] سورة القلم: ٤.

«كان خلقه القرآن».

لقد كان ﷺ يدعو لبعض الكفار بأن يهديَه أو أن يرزقه، فيهديه أو يرزقه، كما دعا لأم أبي هريرة رضي الله عنه حتى هداها الله سبحانه وتعالى. وكما دعا لدوس فقال:﴿اللهم اهد دوساً وائت بهم﴾[٧٧] فهداهم الله. وكما روى أبو داود أنه استسقى لبعض المشركين لما طلبوا منه أن يستسقي لهم فاستجاب لهم، وكان ذلك إحساناً منه إليهم يتألف به قلوبهم، كما كان يتألفهم بغير ذلك[٧٨].

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يحب ويرضى، والحمد لله رب العالمين.

---

[٧٧] صحيح البخاري، برقم ٢٩٣٧.

[٧٨] فتاوى ابن تيمية ١ ـ ١٤٥.

السمع والطاعة

على المسلم والمسلمة السّمع والطاعة لحكامهم في غير معصية وإن لم ينصفوهم، أو يعطوهم حقهم، ففي الصحيحين أن رجلاً من الأنصار خلا برسول الله ﷺ، فقال: ألا تستعملني كما استعملت فلاناً؟ فقال: ﴿إنّكم سَتَلْقَوْنَ بَعدي أثَرةً، فَاصبِروا حتى تَلقَوني على الحوض﴾[٧٩].

وهذا كما في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إنها تكونُ بَعدي أثَرةٌ، وأمورٌ تنكرونها. قالوا: يا رسول الله كيف تأمر مَن أدرك منا ذلك؟ قال: تُؤدون الحقَّ الذي عليكم، وتسألونَ اللهَ الذي لكم﴾[٨٠].

وعن وائل بن حجر رضي الله عنه، قال: سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله إن قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم، ويمنعوننا حقنا، فما تأمرُنا؟ فأعرض عنه، ثم سأله، فأعرض، ثم سأله في الثانية أو الثالثة، فحدّثه الأشعثُ بن قيس قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حُمِّلوا، وعليكم ما حُمِّلتم﴾[٨١].

إن السمع والطاعة لله وللرسول ﷺ، ولأولي الأمر، كل أولئك أمرٌ من الله تبارك وتعالى القائل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ

---

[٧٩] صحيح البخاري، ٧ ـ ١١٧، وصحيح مسلم، ٣ ـ ١٤٧٤

[٨٠] صحيح البخاري ١٣ ـ ٥، وصحيح مسلم ٣ ـ ١٤٧٢.

[٨١] صحيح مسلم ٣ ـ ١٤٧٤ ـ ١٤٧٥.

وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[٨٢].

بل إن مناصحة من ولاه الله أمرنا واجبٌ علينا وإن لم نعاهدْهم عليه[٨٣].

ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ﴿إن الله يرضى لكم ثلاثاً: أن تعبُدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم﴾[٨٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنه ليس أحدٌ من الناس يخرج عن السلطان شبراً فمات عليه إلا مات مِيتة الجاهلية﴾[٨٥].

نعم. لقد أمر النبي ﷺ بطاعة ولي الأمر وإن كان عبداً حبشياً، فقد قال ﷺ: ﴿اسمعوا وأطيعوا وإن استُعمل عليكم عبدٌ حبشي كأن رأسَه زبيبة﴾[٨٦].

إنه لا ينبغي للمسلم أن ينزع يده من طاعة ولي الأمر، فعن عوف بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: ﴿خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلّون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم. قلنا: يا رسول الله! أفلا

---

[٨٢] سورة النساء: ٥٩.
[٨٣] الخلافة والمُلك، لابن تيمية، ص١٤
[٨٤] صحيح مسلم، ٣ ـ ١٣٤٠.
[٨٥] صحيح البخاري، ١٣ ـ ٥، وصحيح مسلم، ٣ ـ ١٤٧٨.
[٨٦] صحيح البخاري، ١٣ ـ١٣١.

ننابذهم بالسيف عند ذلك؟ قال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، لا، ما أقاموا فيكم الصلاة. ألا من وُلِّي عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً من معصية فليكره ما يأتي من معصية ولا ينزعنّ يداً من طاعة»[٨٧].

لقد ذهب جمهور أهل السنة والجماعة إلى تحريم الخروج على أئمة الظلم والجور بالسيف، ما لم يصل ظلمهم إلى حد الكفر. وهذا قول جمع من الصحابة، كسعد بن أبي وقاص وأسامة بن زيد وابن عمر ومحمد بن مسلمة وغيرهم، وهو مذهب عامة أهل الحديث. ولقد ادعى الإجماعَ عليه جمعٌ من العلماء. منهم الإمام النووي حيث قال: «... وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرامٌ بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسَقة ظالمين»[٨٨].

وينبغي أن يُعلم بأن الخروجَ على أئمة الجَور مفسدٌ لأمن الأمة: ففيه «استبدال الأمن بالخوف، وإراقة الدماء، وانطلاق أيدي السفهاء، وشن الغارات على المسلمين، وفساد الأرض»[٨٩].

ولقد تبين من استقراء التاريخ أنه لا يتحقق للخارجين مرادُهم، بل لا يرون من الخروج إلا الشر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقلّ من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر أعظم ما تولد من الخير، كالذين خرجوا على يزيد بالمدينة، وكابن الأشعث الذي خرج على عبد الملك بالعراق، وكابن المهلب الذي خرج على ابنه بخراسان، وكأبي

---

[٨٧] صحيح مسلم، ٣ ـ ١٤٨١.
[٨٨] شرح مسلم ١٢ ـ ٢٢٩، وانظر الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٤ ـ ١٩.
[٨٩] الجامع لأحكام القرآن ٢ ـ ١٠٩.

مسلم صاحب الدعوة الذي خرج عليهم بخراسان أيضاً، وكالذين خرجوا على المنصور بالمدينة والبصرة، وأمثال هؤلاء... وغايةُ هؤلاء إما أن يَغلبوا وإما يُغلبوا ثم يزول ملكهم فلا يكون لهم عاقبة، فإن عبد الله بن علي (عم الخليفة المنصور) وأبا مسلم هما اللذان قتلا خلقاً كثيراً، وكلاهما قتله أبو جعفر المنصور. وأما أهل الحَرّة وابن الأشعث وابن المهلب وغيرهم فهُزموا وهزم أصحابهم، فلا أقاموا ديناً ولا أبقوا دنيا، والله لا يأمر بأمر لا يحصل به صلاح الدين وصلاح الدنيا، وإن كان فاعل ذلك من أولياء الله المتقين ومن أهل الجنة فليسوا أفضلَ من عليٍّ وعائشة وطلحة والزبير وغيرهم، ومع هذا لم يُحمَدوا على ما فعلوه من القتال، وهم أعظم قدراً عند الله وأحسن نية من غيرهم»[٩٠].

وقد ذكر الإمام أبو الحسن الأشعري خمسة وعشرين خارجاً من آل البيت، ولم يصل أيٌّ منهم إلى مطلبه[٩١]. فإذا كان مآل الخروج دائماً إلى فساد ـ حتى وإن قَصد الخارجُ الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر ـ فإنه لا يجوز؛ لأن الشارع لا يأمر إلا بما فيه مصلحة.

ومما لا شك فيه أن الحاكم الظالم ليس شراً من كل الوجوه. قال ابن تيمية، رحمه الله: «إن الملك الظالم لا بد أن يدفع الله به من الشر أكثر من ظلمه، وقد قيل: ستون سنةً بإمام ظالم خيرٌ من ليلة بلا إمام. وإذا قدر كثرة ظلمه فذاك ضرر في الدين، كالمصائب تكون كفارة لذنبهم ويثابون عليها

---

[٩٠] منهاج السنة ٤ ـ ٥٢٦.

[٩١] مقالات الإسلاميين ١ ـ ١٥٠ ـ ١٦٦.

ويرجعون فيها إلى الله ويستغفرونه ويتوبون إليه... ولهذا أمر النبي ﷺ بقتال من يقاتل على الدين الفاسد من أهل البدع، كالخوارج، وأمر بالصبر على جور الأئمة ونهى عن قتالهم والخروج عليهم»[٩٢].

وقد قال النبي ﷺ: ﴿إن الله يؤيد هذا الدينَ بالرجل الفاجر﴾[٩٣].

فمادام الأمر كذلك فلا يجوز الخروج على الحاكم لمجرد الفجور؛ لأن فجوره على نفسه، وقد يتحقق بسببه من المصالح ما هو أعظم وأكبر.

إنه يحسن بالحكام أن يكونوا عادلين في حكمهم وفي أهليهم وفي مَن استرعاهم الله، ليكونوا من المقسطين عند الله. فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين. الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا﴾[٩٤].

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها، أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿اللهم مَن وَلِيَ مِن أمر أمتي شيئاً فشقّ عليهم فاشقق عليه، ومَن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق به فارفق به﴾[٩٥].

وفي الصحيحين عن الحسن البصري ـ رحمه الله ـ قال: عاد عبيدُ الله بن زياد معقلَ بن يسار في مرضه الذي مات فيه، فقال له معقل: إني محدثك حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ما من

---

[٩٢] الفتاوى ١٤ ـ ٢٦٩.

[٩٣] صحيح البخاري٤ ـ ٨٨، وصحيح مسلم ١ ـ ١٠٥.

[٩٤] صحيح مسلم ٣ ـ ١٤٥٨، ومسند أحمد أحمد بن حنبل ٢ ـ ١٦٠.

[٩٥] صحيح مسلم ٣ ـ ١٤٥٨، ومسند أحمد بن حنبل ٦ ـ ٦٢.

عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته إلا حرّم الله عليه الجنة﴾[٩٦]. وفي رواية لمسلم: ﴿ما من أمير يلي من أمر المسلمين شيئاً ثم لا يَجهَد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة﴾[٩٧].

أيها الإخوة، أيتها الأخوات: اقرؤوا قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[٩٨]، وقوله تعالى ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[٩٩] وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾.[١٠٠] قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[١٠١]. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ

---

[٩٦] صحيح البخاري ١٣ ـ ١٢٦ ـ ١٢٧، وصحيح مسلم ٣ ـ ١٤٦٠.
[٩٧] صحيح مسلم، باب فضيلة إمارة الإمام العادل ٣ ـ ١٤٦٠.
[٩٨] سورة النساء: ٨٠.
[٩٩] سورة آل عمران: ٣١.
[١٠٠] سورة الأحزاب: ٣٦.
[١٠١] سورة المائدة: ٢٧ ــ ٣٠.

كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[١٠٢]. وقال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾[١٠٣].

فأين ما سمعتموه من العنف الدامي؟ إن التطرف قديم، وتعلمون الثلاثة الذين تقالّوا عمل الرسول ﷺ بالقياس إلى أعمالهم.

إن هؤلاء هم «الخوارج» الذين قال رسول الله ﷺ فيهم: ﴿يخرج فيكم قوم تحقِرون صَلاتَكم مع صلاتِهم، وصيامَكم مع صيامِهم... ﴾[١٠٤].

ومن هؤلاء كان عبد الرحمن بن ملجم الذي قتل علياً، رضي الله عنه، لم يكن كافراً بل قتله؛ تقرُّباً إلى الله، مستشهداً بآية من القرآن: ﴿إنِ الحُكْمُ إلا لله﴾، ونادى: يا علي، وضربه من يأفوخه بالفأس. رضي الله تعالى عن علي بن أبي طالب وعن صحابة رسول الله ﷺ أجمعين.

لقد أمرنا رسول الله ﷺ بعدم الخروج، وقال: ﴿كن كابن آدم، وإن دخل عليك بيتك يريد أن يقتلك فألقِ ثوبك على وجهك، يبوء بإثمه وإثمك﴾[١٠٥].

---

[١٠٢] سورة النساء :٩٢.
[١٠٣] سورة المائدة :٣٢.
[١٠٤] صحيح البخاري، برقم ١٠٦٣.
[١٠٥] أخرجه أبو داود في الفتن برقم ٤٢٥٦، والترمذي في الفتن برقم ٢١٩٥، وابن ماجه في الفتن برقم ٣٩٥٨.

وتلا الراوي: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[١٠٦].

وفي رواية عن أبي موسى الأشعري في الفتن: ﴿فاكسِروا قِسِيَّكم واقطعوا أوتاركم واضرِبوا سيوفكم بالحجارة، فإن دخل ـ يعني على أحد منكم ـ فليكن كخير ابنَيْ آدم﴾[١٠٧].

لقد غُيبت هذه الأحاديث الشريفة الصحيحة حتى غدت مجهولة، فظنت طائفةٌ من المسلمين أنه إذا أخذ أحدٌ الحكم بالقوة، فيجوز لهم أن يستردّوه منهم بالقوة، وهنا وقعوا في الخطأ الذي لا ينتهي، فمعاوية أخذ الحكم بالقوة، وبنو العباس جاؤوا وقاتلوا بني أمية فلم يتركوا في المشرق طفلاً ولا كهلاً من الأمويين، حتى إنهم وضعوهم تحت البِساط ومرّوا فوقهم، والمأمون قتل أخاه الأمين، وهكذا إلى يومنا هذا لا نقتل مؤمناً عمداً، بل نقتل مئات المؤمنين عمداً!

إن الخوارج، « سئل عنهم الإمام علي، رضي الله عنه: هل هم كفار؟ قال: لا، من الكفر فروا. هل هم منافقون؟ قال: لا، هؤلاء يذكرون الله كثيراً، والمنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً، قيل: فمن أين أتوا؟ قال: أتوا من قِلة فِقههم، وليس مَن طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه»[١٠٨].

بالمناسبة: الخوارج هم الذين يقولون: «إن مرتكب الكبيرة كافرٌ». أما أهل

---

١٠٦ سورة المائدة: ٢٨.

١٠٧ أخرجه أبو داود في الفتن والملاحم، باب النهي عن السعي في الفتن رقم ٤٢٥٩.

١٠٨ المصنف، لعبد الرزاق الصنعاني برقم ١٨٦٥٦.

السنة فلا يقولون ذلك. نعم، لقد ذكر رسول الله ﷺ أن عذاب أمته: «الفتن والزلازل والقتل» وفي الحديث الصحيح: ﴿ليغشين أمتي من بعدي فِتنٌ كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويُمسي كافراً، ويُمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع أقوام دينهم بعَرَضٍ من الدنيا قليلٍ﴾[١٠٩].

لقد عرّف رسولنا سيدنا محمد ﷺ السعيدَ فقال: ﴿إن السّعيدَ لَمَن جُنّب الفتنَ ولَمن ابتُلي فصبر﴾[١١٠].

اللهم جنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وارحمنا رحمة تَسع السمواتِ والأرضَ، وارحم والدينا المسلمين وعلماءنا العاملين، وارحم موتانا وموتى المسلمين، وصلِّ اللهمَّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

---

[١٠٩] سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني، ٣/ ٢٦٤.

[١١٠] المصدر السابق.

التشدد في غير موضعه

روى الإمام أحمد، رحمه الله تعالى، عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ﴿إنّ هذا الدّينَ متينٌ، فأوغِلوا به برِفقٍ. إنّ المُنْبَتّ لا أرضاً قطعَ ولا ظهراً أبقى﴾[١١١]. والمُنبَتُّ هو الذي انقطع في سفره، وهلكت راحلته، وعجَز عن تحقيق مقصده. نعم. إن المرء إذا كلّف نفسه فوق طاقتها سيبقى حسيراً، كالذي أفرط في إغذاء السير حتى عطبت راحلته ولم يقض سفره. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ﴿يا أيّها الناس إياكم والغلوَّ في الدينِ، فإنه أهلَكَ من كان قبلَكم الغُلوُّ في الدين﴾[١١٢]. إن أهل العربية يعربون «إياكم»: مفعولاً به مقدماً لفعل محذوف تقديره: «أحذّر». وأما كلمة «الغلو» فيعربونها مفعولاً به لفعل محذوف تقديره: «اجتنبوا». وهكذا فمعنى قوله ﷺ: ﴿إيّاكم والغلوَ﴾ هو: «إياكم أحذّر، واجتنبوا الغلو» لأن للغلو نتائجَ خطيرة. وهاتان صورتان في الوقت الحاضر:

١ ـ «مرتكب الكبيرة (كترك الصلاة مثلاً) كافر». وكلنا يعلم أن الذي يقول بتكفير مرتكب الكبيرة إنما هم فرقة الخوارج، الذين خرجوا على علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وقتلوه. أما السلفية الحقّة أهل السنة والجماعة فإنها لا تكفّر، وإنما يكون مرتكب الكبيرة فاسقاً أو عاصياً.

---

[١١١] مسند أحمد بن حنبل، ٣ ـ ١٩٩.

[١١٢] المصدر السابق ١ ـ ٢١٥، وسنن النسائي ٥ ـ ٢١٨.

٢ ـ «لا يقبل الله صدقة تارك الصلاة؛ لأنه كافر، والكافر أعماله محبَطة بالكفر»: هذه الصورة خطيرة جداً، بل إن الله يرزق الكافر بحسناته التي يعملها في الدنيا... إن الكفر نوعان: «عملي» و«اعتقادي»، فإن المسلم إذا توانى في صلاته وتكاسل عن أدائها يوصف عمله هذا بالكفر، ولكنه لا يكفر اعتقاداً.

وأما الأحاديث الدالة على التكفير فإنها على سبيل التغليظ والترهيب والتخويف؛ لأن المسلم إذا سجد في حياته كلها سجدة واحدة لله لم يكفر ـ بإجماع المسلمين ـ كما يقول ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى.

أ ـ إن ديننا حق، ورسالة الإسلام دعوة عالمية، ورحمة للبشرية، وإن القرآن محفوظ، وإن التعمق فيه يكون بفهم صحيح، واستنباط دقيق عميق، واقرؤوا ـ إن شئتم ـ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[١١٣] الآية. ألسنا نرى بالعين الباصرة والقلب البصير عودة متأنية إلى حديث سيدنا رسول الله ﷺ القائل: ﴿عليكم بسنّتي وسنّةِ الخلفاءِ المَهديّين الرّاشدين تمسّكوا بها، وعَضّوا عليها بالنواجذِ، وإياكم ومحدثاتِ الأمورِ فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ﴾[١١٤]. إن أهل العربية يعربون «عليكم بـ»: اسم فعل أمر بمعنى: الزموا، التزموا. أما إعراب «إياكم ومحدثات الأمور» فإنها مثل «إياكم

---

[١١٣] سورة النساء: ٨٣.

[١١٤] سنن أبي داوود برقم ٤٦٠٧، ومسند أحمد برقم ١٧١٨٥.

والغلو»[١١٥]، وهكذا فالتقدير: «إياكم أحذّر واجتنبوا محدثات الأمور».

ههنا خط عريض تحت «محدثات الأمور»، فإن المحدثة نوعان: إما أنها تتفق ومقاصد الشريعة الإسلامية، فتكون من الدين، وإما أنها لا تتفق ومقاصد الشريعة السمحة فلا تكون من الدين، فهي البدعة التي تجرّ إلى الضلال، ولعل الحديث الآتي المشهور دليل على ذلك: ﴿من أحدَث في أمرِنا – أو دينِنا – هذا ما ليس فيه فهو رَدٌّ﴾[١١٦]، الحديث.

وها هنا خط عريض تحت «ما ليس منه»، لأن المحدثة إذا كانت تتفق ومقاصد الدين فإنها تكون منه، وكفى بنا مثالاً على ذلك: «كان ثمة أذانٌ إقامة بين يدي الخطيب يومَ الجمعة على عهده ﷺ، لكن عندما انتشرت رقعة الإسلام في المدينة المنورة عام ٣٠ هجري أحدث الخليفة عثمان بن عفان، رضي الله عنه، أذانين وإقامة بين يدي الخطيب، وقد عُمِل بهذه المحدثة حتى وقتنا الحاضر». ولا أريد أن أفصّل القول في التراويح وعدد ركعاتها، لأن ذلك معلوم.

ب ـ لقد ثبت عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿من لم يقبل رخصة الله عز وجل كان عليه من الإثم مثل جبال عرفة﴾[١١٧]. نعم. إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يجب أن تؤتى عزائمه، وأما مسألة العُجب في التعبد ففيها خطر؛ لأن رسول الله ﷺ يقول:

---

[١١٥] مرّ إعرابها في الصفحة ٥٦ من هذا الكتاب.

[١١٦] صحيح البخاري، برقم ٢٦٩٧.

[١١٧] مسند أحمد برقم ٥٣٩٢، والطبراني في الكبير برقم ١٤١٢٤.

﴿إِنَّ فيكُمْ قَوْمًا يَعْبُدونَ ويَدْأَبونَ، حتى يُعْجَبَ بهمُ النَّاسُ، وتُعْجِبَهُمْ نُفوسُهم، يَمْرُقونَ منَ الدِّينِ مُروقَ السَّهْمِ منَ الرَّمِيَّةِ﴾[١١٨].

ج ـ علينا إن ذكّرنا ووعظنا ألا نقنّط الناس، بل يحسن بنا أن نزرع في قلوبهم حبَّ الله تعالى وحبَّ رسوله محمد ﷺ أكثر مما نزرع الخوف فيهم، كي تكون العبادة مبنية على أساس من الحب، وهي مرتبة أعلى من مرتبة بناء العبادة على الخوف.

ـ علينا أن نعلم أن قلوبنا أوعية ينبغي إشغالها بالقرآن الكريم أولاً، ثم بالحديث النبوي ثانياً، وليس العكس، فكيف إذا أنعمنا النظر طوال الوقت في الحديث الشريف؟!

ـ علينا أن نعلم أن معرفة اللغة العربية وفقه أسرارها وقوانينها مفتاحٌ لفهم القرآن الكريم؛ لأن العربية هي الأداة التي نزل بها القرآن.

ـ علينا أن نعلم أن العلم ليس كلَّ نقلٍ، بل للإلهام فيه نصيب، ولا سيما إذا كان هذا العلم يمَس كلام الله تعالى وشريعته.

ـ علينا أن نعلم أن تدارس العلم ساعة من الليل خيرٌ من إحيائها[١١٩].

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

---

[١١٨] مسند أحمد بن حنبل، ج٣، ص١٨٣، وسلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني.

[١١٩] ابن عباس، سنن الدارمي، ١ ـ ٨٢.

عزة الجانب

إن المتمسك بدينه قد يعينه الله ويعزه بنصرة قريبه الكافر، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾[١٢٠]. لقد بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة أن نبيه شعيباً ـ عليه السلام ـ منعه الله من الكفار، وأعزّ جانبه بسبب العواطف العصبية والأواصر النسبية من قومه الذين هم كفار.

قال تعالى في صالح ـ عليه السلام ـ وقومه: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ ﴾[١٢١]. في هذه الآية دليل على أنهم لا قدرة لهم على أن يفعلوا السوء بصالح ـ عليه السلام ـ إلا في حال الخفاء، وأنهم لو فعلوا به ذلك خفاء وسرقة لكانوا يحلفونه لأوليائه الذين هم عصبته أنهم ما فعلوا به سوءاً، ولا شهدوا ذلك ولا حضروه خوفاً من عصبته، فهو عزيز الجانب بسبب عصبته الكفار. وقد قال تعالى لسيدنا محمد ﷺ ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴾[١٢٢]؛ أي: آواك بأن ضمك إلى عمك أبي طالب، وذلك بسبب العواطف العصبية والأواصر النسبية، ولا صلة له بالدين بتة، فكونه جل وعلا يمتَنُّ على رسوله ﷺ بإيواء أبي طالب له

---

[١٢٠] سورة هود: ٩١.
[١٢١] سورة النمل: ٤٩.
[١٢٢] سورة الضحى: ٦.

دليلٌ على أن الله قد ينعم على المتمسك بدينه بنصرة قريبه الكافر. ومن ثمرات تلك العصبية النسبية قول أبي طالب:

واللهِ لنْ يَصِلوا إليكَ بِجَمْعِهِمْ حَتّى أُوَسَّدَ في التُّرابِ دَفينا

فَاصْدَعْ بِأمْرِكَ ما عَليكَ غَضاضةٌ أبْشِرْ بِذاكَ وقَرّ مِنْهُ عُيونا

ولهذا لمّا كان نبي الله لوط ـ عليه السلام ـ ليس له عصبة في قومه الذين أرسل إليهم، ظهر فيه أثر عدم العصبية، بدليل قوله تعالى عنه: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[١٢٣]. نعم. إن الله قد يعين المؤمن بالكافر لتعصبه له، وربما كان لذلك أثر حسن في الإسلام والمسلمين. وقد يكون من منن الله على بعض أنبيائه المرسلين ـ صلوات ربي وسلامه عليهم. وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: ﴿إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر﴾[١٢٤]. وفي المثل: «اجتن الثمار وألق الخشبة في النار».

فإذا عرفت دلالة القرآن على أن المسلم قد ينتفع برابطة نسب وعصبية من كافر، فاعلم أن النداء بالروابط العصبية لا يجوز، لأن النبي ﷺ قال: ﴿دعوها فإنها منتنة﴾[١٢٥]، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[١٢٦]، وقال سبحانه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[١٢٧].

---

[١٢٣] سورة هود: ٨٠.
[١٢٤] سبق برقم ٩٢.
[١٢٥] صحيح ابن حبان، برقم ٥٩٩٠.
[١٢٦] سورة الحجرات: ١٠.
[١٢٧] سورة التوبة: ٧١.

مجازفة في التصنيف

إن دعوى الاغتراف من القرآن الكريم والسنة مباشرة، من دون امتلاك الوسائل التي تمكن من الاغتراف، نوع من المجازفة...

ـ إن الأئمة عندما اختلفت وجهات نظرهم، لم يزعم أحد منهم أنه أصاب الحق الذي يريده الله سبحانه وتعالى، بل إن كل واحد منهم كان يقول: «رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب». وهكذا بقي الاختلاف وبقي الأدب وبقي الود وبقي التواضع... يسأل الشافعي عن أبي حنيفة ـ رحمها الله ـ فيقول: «الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة».

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ينهى عن القراءة خلف الإمام[١٢٨]، أما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: "إن كنتَ خلف الإمام فاقرأ في نفسك»[١٢٩]، وهكذا فإن أبا حنيفة تابع أبا بكر، والشافعي تابع عمر، فكل منهما أخذ بسنة من سنن الخلفاء الراشدين، لقوله ﷺ: ﴿عليكم بسنّتي وسنّةِ الخلفاءِ المَهديّين الرّاشدين﴾[١٣٠].

ـ إن الخلافات الفقهية الفرعية لا يعدها أحد خلافاً دينياً وتفريقاً للدين، بل هي اجتهادات في فهم النص. أما قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا

---

١٢٨ الموسوعة الفقهية، ص١٦٨.
١٢٩ المصدر السابق، ص٥٥٥.
١٣٠ سبق تخريجه برقم ١١٣.

يَفْعَلُونَ﴾[١٣١]. وقوله تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[١٣٢]. فإن تفريق الدين في العقائد وليس بالاجتهادات، ذلك بأن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً هم المشركون وأهل الكتاب. وما هذه الآيات إلا تحذيرٌ للمسلمين من عدم الوقوع في العلل نفسها التي وقع فيها أولئك.

ـ أما دعوى بعضِهم بأن السلف لم يكونوا يلجؤون إلى التأويل في الأسماء والصفات فإنها مجازفة أيضاً، فهذا الإمام أحمد يؤوّل «مجيء الرب» بمجيء أمره[١٣٣] في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[١٣٤]. ولهذا لا نعجب إذا رأينا ابن تيمية يؤول (الوجه) في قوله تعالى ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[١٣٥]، قائلاً: «أي دينه وإرادته وعبادته»[١٣٦]. ثم يقول، رحمه الله: «ومنه قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[١٣٧]، أي قِبْلَتُهُ.

---

[١٣١] سورة الأنعام: ١٥٩.
[١٣٢] سورة الروم: ٣١ و٣٢.
[١٣٣] الأسماء والصفات، للبيهقي، ص٢٩٢.
[١٣٤] سورة الفجر: ٢٢.
[١٣٥] سورة القصص: ٨٨.
[١٣٦] الفتاوى ٢/ ٤٣٣ سطر٣.
[١٣٧] سورة البقرة: ١١٥.

حياة سعيدة

حدثني حالم بن المتمني، قال: سمعت حديثاً عن الرسول ﷺ يشجب فيه حب الفضول، فقال ـ والحديث بالسند أرويه ـ ﴿من حُسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه﴾[١٣٨]، فما بال الناس تركوا روح الدين الذي يضمن السعادة للعالمين؟ فيرمون بغلظاتهم على الآخرين، فلا تفتأ تراهم يستفسرون، وعن أخبار الناس يستقصون، وإذا امتنعت عن إجابتهم يلحّون ويسألون ... يخوضون في ما لا ينفعهم، ويتدخلون في ما لا يخصهم، فلو أخفيت في نفسك سراً خطيراً، ولم ترد أن تطلع عليه كبيراً ولا صغيراً، جاءك واحد من ثقيلي الدم، مدّعياً أنه سيفرج عنك الهم، وأصر على معرفة أسرارك المدفونة، وتلك لعمري عادة مأفونة، فإن صدقته الحديث افتضحت، وإن لم تصدقه كذبت، وإن زجرته عن الحديث في هذه الأمور، صرخ بالويل والثبور، وعظائم الأمور؛ فكيف تخفي عنه سرك العظيم، وهو صديقك المخلص الحميم؟

ولقد رأيت رؤيا مستحيلة التحقيق، كاستحالة وفاء الصديق، رأيت المحاكم تحولت إلى مؤسسات خيرية، والسجون إلى مدارس علمية، ولم أر مجالس للقضاء، والناس يعيشون في سعادة وهناء، فاستنكرت يا صاحبي ما رأيت، وظننت أني متُّ وما دريت، واستوقفت كهلاً لأستوضح منه حقيقة الأمور،

---

[١٣٨] سنن الترمذي، ٢٣١٧.

فهل أنا من أهل الدنيا أم القبور، فأجابني مبتسماً متأنياً، أهلاً بك في حيّنا، نحن هنا نطبق تعاليم السماء، فلا ظلم ولا فضول ولا أعداء، نتعاون جميعاً على الخير، ونترك الأحقاد والتنابذ للغير، لذلك نحن سعداء نعيش الحب والصدق والوفاء، فما يضيرنا لو كنا كهؤلاء، ننعم بظل دين السماء، فتنهدت من الآلام، وقلت لصديقي: يا سلام... تريد أن يعيش الناس في وئام؟ حقاً إنك مغرق في الأحلام!

اختلاف القلوب

إن اختلاف القلوب من أعظم الأسباب في القضاء على كيان الأمة الإسلامية، لاستلزامه الفشل، وذهاب القوة والدولة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[١٣٩]. فترى المجتمع الإسلامي اليوم في أقطار الدنيا يضمر بعضهم لبعض العداوة والبغضاء وإن جامل بعضهم بعضاً فإنه لا يخفى على أحد أنها مجاملة، وأن ما تنطوي عليه الضمائر مخالف لذلك. وقد بيّن تعالى في سورة الحشر أن سبب هذا الداء الذي عمت به البلوى إنما هو ضعف العقل، قال تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾[١٤٠]. ثم ذكر العلة لكون قلوبهم شتى بقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾[١٤١]. ولا شك في أن داء ضعف العقل الذي يصيبه فيضعفه عن إدراك الحقائق، وتمييز الحق من الباطل، والنافع من الضار، والحسن من القبيح، لا دواء له إلا إنارته بنور الوحي؛ لأن نور الوحي يحيا به من كان ميتاً، ويضيء الطريق للمتمسك به، فيريه الحق حقاً، والباطل باطلاً، والنافع نافعاً والضار ضاراً، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[١٤٢]، وقال: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[١٤٣].

---

[١٣٩] سورة الأنفال: ٤٦.
[١٤٠] سورة الحشر: ١٤.
[١٤١] المصدر السابق.
[١٤٢] سورة الأنعام: ١٤٣.
[١٤٣] سورة البقرة: ٢٥٧.

ومن أُخرج من الظلمات إلى النور أبصر الحق حقاً والباطل باطلاً. وقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[١٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۝ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ۝ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ۝ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾[١٤٥]، وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾[١٤٦]. إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الإيمان يكسب الإنسان حياة بدلاً من الموت الذي كان فيه، ونوراً بدلاً من الظلمات التي كان فيها. وهذا النور عظيم يكشف الحقائق كشفاً عظيماً، كما قال تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ...﴾[١٤٧]، إلى قوله: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[١٤٨]. ولنعلم أن العمل بالسنة هو من هدي القرآن للتي هي أقوم؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[١٤٩]. ولنعلم كذلك أن السنة لا تقتصر على سنة الرسول ﷺ فحسب، بل هناك سنة الخلفاء الراشدين، لقوله ﷺ: ﴿عليكم بسنّتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ﴾[١٥٠]

---

[١٤٤] سورة الملك: ٢٢.
[١٤٥] سورة فاطر: ١٩-٢١.
[١٤٦] سورة هود: ٢٤.
[١٤٧] سورة النور: ٣٥.
[١٤٨] المصدر السابق.
[١٤٩] سورة الحشر: ٧.
[١٥٠] تقدم تخريجه برقم ١١٣.

حال المسلمين

تعيش الأمة الإسلامية حالاً من الجمود، نتيجة منهج الفكر المختل الذي خالطته الأهواء، فأين شمولية الإسلام وتوافقه التام مع العقل؟ وأين شمولية الإسلام منهاجاً كاملاً ووسيلة حياة؟

إن تمكين الفكر الإسلامي من استيعاب العلوم والمعارف الحديثة هو دليل نضج، وإن تحرر الإنسان من داخله وخارجه هو دليل نضح، وإن الإذعان للحق والنصرة له دليل نضح.

إن هذا الدين العظيم دين ممتد حتى قيام الساعة، وهو صالح لكل زمان ومكان، وهو منهج حياة، وذلك عندما نشرب روح أصول الإسلام الكبرى: الكتاب وسنة رسول الله ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين، وعلوم الشريعة المتعلقة بها، وعلوم اللغة العربية... ونجتهد لزماننا كما اجتهد الأولون لزمانهم، وذلك بالفهم الصحيح والاستنباط الدقيق؛ فإن المسلم المعاصر اليوم إذا عاش زمانه دون معاناة لقضايا هذا العصر، واتخذ موقفاً عاقلاً أمام تحديات العصر العلمية والعقائدية والتقنية، أمكنه أن يسميَ نفسه مسلماً صحيح العقل وصحيح البدن، أما إذا بقي على حرفيته واجترار آراء غيره من غير كد الذهن، وإمعان الفكر، فإنه ذو قلب واهن، وعقل قاصر، وماذا ينعت شخصه إذا تغيرت نظرة شيخه غداً؟

وهنا سؤالان:

السؤال الأول: لماذا تأخرت الأمة الإسلامية عن اللحاق بركب الحضارة؟

والسؤال الثاني: هل الفكر الإسلامي اليوم في مستوى التحديات؟

- أليس التطور الإعلامي الممثل بالأقمار الصناعية تحدياً؟
- أليس صنع الأقمار الصناعية تحدياً؟
- أليس التنصت ذا دور خطير وتحدياً رهيباً؟

إن المسلم المعاصر اليوم قد كون فكرة عن الإسلام من خلال اضطراب أهواء أهله، وجمود عقول كثير منهم، ولا غرابة في ذلك، فنحن غثاء كغثاء السيل، نتيجة القلب الواهن الذي ترتب عليه فساد جسد الأمة؛ بسبب حب الدنيا وتملكها وكراهية الحق، وكأن الموت كلمة هوائية فرّغت من مدلولها الحقيقي، ومسلمٌ قلبه مريض سوف يكون عقله مريضاً، ولكن هذا لا يعني أن يتجاهل أبسط سمات هذا الدين، وهو عالميته وشموله، التي تعني التمدد والانفتاح، لا الانكماش والانغلاق.

ـ إنه خطر كبير على العقل المسلم أن يبادل الغرب اليوم عداءً بعداء، ورفضاً برفض، وإلغاء بإلغاء.

ـ يجب علينا أن نصحح معادلة العلاقة بيننا وبين الغرب، فليست القضية «موقفنا من الغرب»، وإنما القضية هي «موقف الغرب منا».

ـ فلا بد أن نتقن فن حروف الهجاء إتقاناً يبنى على الحكمة والتعقل والتحضر المحمود، ونتيجة ذلك إنما هو بداية تسلّم مفاتيح الكون.

أين الخلل وكيف العمل؟

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ

بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾[١٥١]. بهذه الآية تجتمع أطراف النصوص ويفسر بعضها بعضاً. فنصوص الوعد بالجنة للموحدين العصاة الذين يقترفون الكبائر هي بعد تطهيرهم في النار حيناً من الدهر، أو بمغفرة الله سبحانه وتعالى لهم. ونصوص الوعيد على فاعل المعصية قد يعاقبه الله، وقد يغفر له، أو تكفرها طاعاته أو البلاء الذي يصيبه في الدنيا، أو غير ذلك من الأسباب. ولا ريب في أن فهم أصحاب القرون الثلاثة الأولى المشهود لها بالخيرية من الرحمة المهداة سيدنا وحبيبنا رسول الله ﷺ ومن نهج منهجهم هو الفهم السديد، وهو مقتضى النصوص الواردة المتواترة في إقامة الحدود على مرتكبي الكبائر، إذ لو كانوا كفاراً لوجب قتلهم. ولغير ذلك من الدلائل.

ولا شك في أن الفهم هو الذي يعصم المجتمع من التمزق والمشاغبات والفتن الداخلية الناجمة عن رؤية الخوارج وفهمهم. إن الله تبارك وتعالى لطيف بعباده غفور رحيم، قال سبحانه: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾[١٥٢].نعم. «اجتناب الكبائر يكفر الله به الصغائر»[١٥٣]. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[١٥٤]. نعم. إن الله لا يريد إثقال كواهل العبادات تشق عليهم.

---

[١٥١] سورة النساء: ٤٨.
[١٥٢] سورة النساء: ٣١.
[١٥٣] أضواء البيان ١١٨/٤.
[١٥٤] سورة النساء: ١١٠.

والمؤمنون يحيون بين الخوف من الرقيب القادر، والأمل في الرحمن الغفور، ويستعدون للقاء الحسم، طال الأجل أم قصر.

إن الله سبحانه حين خلق الناس حدد لهم هدفين كبيرين: **الأول:** أن يعبُدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١٥٥]. **والهدف الآخَر:** أن يسهموا في عمارة الأرض، قال سبحانه: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[١٥٦]؛ أي طلب إليكم عمارتها عمارة حسية، وعمارة معنوية؛ لأن لنا حضارةً في الماضي، والواجب أن نحييَها هذه الأيام، وهذا يتطلب معرفة جيدة بعلوم العصر، وعمارة معنوية وذلك بإحسان العمل، ونشر العدل والإحسان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع دوام الشكر لهذه النعم قولاً وسلوكاً؛ لأن الشكر هو قيد النعم، فإن انفك القيد طارت النعم. أفلا يقطّع الأحشاء أن يصنع القوم الغواصات والدبابات والطائرات وعابرات القارات من الحديد، وفي القرآن الكريم سورة الحديد، والله تعالى يقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[١٥٧]؛ لأن الله سبحانه يقول: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[١٥٨]. ويقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاس﴾[١٥٩]. فهل عمر المسلمون الأرض فنفذوا هذا الأمر؟

---

[١٥٥] سورة الذاريات: ٥٦.
[١٥٦] سورة هود: ٦١.
[١٥٧] سورة الأنفال: ٦٠.
[١٥٨] سورة آل عمران: ١١٠.
[١٥٩] سورة البقرة: ١٤٣.

أما الأولون فقد قرعوا بالإسلام الدنيا، وشرحوه بعملهم شرحاً حسناً...

إن التزهيد في فهم الواقع، وفي المستجدات المهمة، أمر غير سليم.

هناك ثلاث قضايا لا ينبغي لنا تجاهلها: قضيتان من الخارج، وقضية من الداخل:

١ ـ أنه لا بد من إدراك المستوى السياسي الاقتصادي الذي يدور من حولنا نحن - أمة الإسلام - التي تملك ثمانين بالمئة من ثروات العالم. إن ذلك لن يتحقق – كما بينا سابقاً - إلا بالانسحاب من كل المؤسسات التي تدعي العالمية؛ من مثل: الأمم المتحدة، وصندوق النقد، والبنك الدولي، ومنظمة التجارة العالمية؛ لأنها شريكة في مؤامرة عالمية تسعى لفرض سيطرة العالم المتقدم الغربي على دول العالم الثالث. والوصول لتحقيق هذه القطيعة يتم عن طريق المواجهة الجماعية والسعي لإنشاء سوق مشتركة.

٢ ـ لابد من إدراك صراع الحضارات التي تستهدف تطويق أمم وشعوب بعينها. أليست الأقمار الصناعية تحدياً اليوم؟ أليس التنصت تحدياً اليوم؟

أما في الداخل:

ـ فلا بد من إدراك حقيقة الغلو في الدين ومعالجتها.

ـ إن المذاهب الأربعة ثروة فقهية تشريعية عظيمة وأصحابها من القرون الأولى، وقد شهد لهم بالخيرية سيد الخلق حبيبنا محمد ﷺ.

ـ إن مصدري التشريع الإسلامي هما: القرآن والسنة. نعم، ولكن ليس سنة المصطفى، صلى الله عليه وسلم فقط، بل سنة الخلفاء الراشدين معها.

ألم يقل رسول الله، ﷺ: ﴿عليكم بسنتي وسنة الخفاء الراشدين من بعدي﴾[١٦٠]؟

ـ وهناك استنباط أحكام وتوليد معانٍ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[١٦١].

ـ إن الخلاف في فروع العبادات والمعاملات شيء طبيعي وهو مأجور على الحالين من خطأ وصواب مادام وراءَه اجتهادٌ محترم، ولكن بعضهم يجعل هذا الخلاف مثار فرقة وهجاء، وهذا يغاير منهج القرآن الذي يذكر عن داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ أنهما اختلفا في حكم أصدراه في قضية واحدة: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾[١٦٢].

ـ المسلمون في هذا العصر في حاجة إلى أن يفهموا هاتين الآيتين:

١ ـ ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[١٦٣].

٢ ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾[١٦٤].

---

[١٦٠] تقدم تخريجه برقم ١١٣.
[١٦١] سورة النساء:٨٣.
[١٦٢] سورة الأنبياء: ٧٩.
[١٦٣] سورة الشورى: ٣١.
[١٦٤] سورة الصف: ١٤.

وألا ينسوا هذه الآية: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[١٦٥].

سبق أن قلنا إن أمتنا الإسلامية لا بد أن تجمع بين إيمان واضح، وعمل صالح حتى يمكن لها، وتستعد لآخرتها.

ـ وأن العلم النظري بوحدانية الله لا يكفي، فقد كان إبليس يعلم أن الله واحد، غير أنه رفض الخضوع له والامتثال لأمره فهوى.

ـ إن الجهاد الاقتصادي والعسكري لا بد منهما لحراسة الأمة الإسلامية، وأدائها لرسالتها.

ـ إن أعداءنا يرقُبوننا بحقد، فإن وجدوا ثغرة نفذوا منها إلى صميمنا، وهنا الطامة الكبرى التي تطيح بالحق وأهله.

ـ إن تبليغ رسالة محمد ﷺ يحتاج اليوم إلى عبقريات عالمية تحسن العرض، وبطولات عسكرية تحسن الدفاع، ولا يصلح هذا الأمر إلا بما صلح به أوله.

ـ إننا ـ المسلمين ـ سنُسأل عن كتابنا: لماذا لم تقوموا به وتعطوا الناس صورة حسنة له؟!

ـ إن ضعف رباط الأخوة الإسلامية نذير شر، وهو ذريعة إلى تدخل غير المسلمين كي يستغلوا الأوضاع المتردية لمصالحهم الخاصة، والمسلمون هم الخاسرون أولاً وآخراً.

عندما ترفع أمتنا راية عبادة الله، تكون أهلاً لقوله تعالى:

---

[١٦٥] سورة الحجرات: ١٠.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[١٦٦].

إن صلاة الله وملائكته إنما تكون لأمة تذكر الله وتُذكر به وتجعل ذلك وظيفتها وتلك عمارتها، فالعمارة إذاً حسية ومعنوية. وقد ارتفع المسلمون إلى هذا المستوى قروناً كانوا فيها الأمة الأولى في العالم، ثم نسوا الله فأنساهم أنفسهم، فهم الآن في آخر القائمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

لا يجني أحد إلا ما غرس، وأبشّركم بأن هذا الإسلام باقٍ لن يزول وسوف يبقى إلى قيام الساعة، يؤسس اليقين، ويوقظ الغافلين، ويسدد الخطى إلى رب العالمين.

---

[١٦٦] الأحزاب: ٤٣.

الاشتغال بالقرآن الكريم

بيّن رسول الله ﷺ أن المشتغلين بالقرآن الكريم هم أهل الله، وخير الناس، كما ثبت عنه ﷺ في الصحيح من حديث عثمان بن عفان، رضي الله عنه، أنه قال: ﴿خيرُكُم مَن تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَهُ﴾[١٦٧] وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[١٦٨].

كما بيّن رسول الله ﷺ أن المشتغلين بالسنة الثابتة الشاملة (سنته ﷺ، وسنة الخلفاء الراشدين، رضوان الله عليهم) هم خير الناس، فقال: ﴿مَن يُرِدِ اللَّهُ به خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ﴾[١٦٩]. وهكذا فإن إعراض كثير من الناس عن النظر في كتاب الله وتفهمه والعمل به وبالسنة المطهرة الشاملة من أعظم المناكر وأشنعها، وإن ظن فاعلوه أنهم على هدى.

لماذا أنزل القرآن في الليل؟

كون إنزال القرآن في الليل دون النهار مشعرٌ بفضل اختصاص الليل.

وقد أشار القرآن والسنة إلى نظائره، فمن القرآن قوله تعالى:﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾[١٧٠]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ ﴾[١٧١].

---

[١٦٧] سنن الترمذي، برقم ٢٩٠٧.
[١٦٨] سورة آل عمران: ٧٩.
[١٦٩] صحيح مسلم: برقم ١٠٣٧.
[١٧٠] سورة الإسراء: ١.
[١٧١] سورة الإسراء: ٧٩.

وقوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾[١٧٢]، وقوله: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾[١٧٣]، وقوله: ﴿كَانُوا قَلِيلا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾[١٧٤].

ومن السنة قوله ﷺ : ﴿يَنْزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالَى كُلَّ لَيْلةٍ إلى السَّماءِ الدُّنْيا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يقولُ: مَن يَدْعُونِي، فأسْتَجِيبَ له؟ مَن يَسْأَلُنِي فأُعْطِيَهُ؟ مَن يَستَغْفِرُني فأغْفِرَ له؟﴾[١٧٥].

وهذا يدل على أن الليل أخص بالنفحات الإلهية، وبتجليات الرب سبحانه لعباده، وذلك لخلو القلب وانقطاع الشواغل وسكون الليل. ورهبته أقوى على استحضار القلب وصفاته، فقد يمتن الله على عبد من عباده بفهم من كتاب الله...

---

[١٧٢] سورة ق: ٤٠.
[١٧٣] سورة المزمل: ٦.
[١٧٤] سورة الذاريات: ١٧.
[١٧٥] صحيح البخاري، برقم ١١٤٥.

اللهجات في القرآن الكريم

١ ـ ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾[١٧٦]؛ أي: «لا جبل» بلغة أهل اليمن، و«ولد الولد» بلغة هذيل.

٢ ـ ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾[١٧٧]؛ أي: «ابن امرأته» بلغة طيئ.

وقد قرئ: ﴿ونادى نوح ابنها﴾: وهي قراءة علي، وعروة بن الزبير، وعكرمة[١٧٨].

٣ ـ ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[١٧٩]. اللهو بلسان اليمن: «المرأة».

٤ ـ ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[١٨٠]؛ ألم ييأس أي: «ألم يعلم» بلغة هوزان.

٥ ـ ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ

---

[١٧٦] سورة القيامة: ١١.
[١٧٧] سورة هود: ٤٢.
[١٧٨] معجم القراءات ١١٢/٣ قراءة رقم ٣٥٦٣.
[١٧٩] سورة الأنبياء:١٧.
[١٨٠] سورة الرعد: ٣١.

مِنْ فَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[١٨١]؛ فباؤوا: أي: «استوجبوا» بلغة جرهم.

- من دلالات اللهجة اليمنية:

١ ـ ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[١٨٢]؛ «السيد» هو الحليم بلغة حمير.

٢ ـ ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[١٨٣]. قال أبو عبيد: «زعم» في كتاب الله: «باطلٌ» بلغة حمير.[١٨٤].

٣ ـ ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾[١٨٥]. قال أبو عبيد: «وبيلاً» يعني «أخذاً شديداً» بلغة حمير.[١٨٦].

- من دلالات لهجة هذيل:

١ ـ ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾[١٨٧]؛ أي: ملأى[١٨٨].

---

١٨١ سورة البقرة:٩٠.
١٨٢ آل عمران:٢٩.
١٨٣ سورة التغابن: ٧.
١٨٤ لغات القبائل ص ٢٨٤.
١٨٥ سورة المزمل: ١٦.
١٨٦ لغات القبائل، ص٣٠٠.
١٨٧ سورة النبأ:٣٤.
١٨٨ لغات القبائل، ص٣٠٩.

٢ ـ ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾[١٨٩]؛ أي: ينامون[١٩٠].

٣ ـ ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾[١٩١]؛ أي: ساعات[١٩٢].

- من دلالات لهجة تميم:

١ ـ ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[١٩٣]؛ أي: حسداً[١٩٤].

٢ ـ ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾[١٩٥]؛ أي: وتذكر بعد نسيان[١٩٦].

٣ ـ ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ

---

[١٨٩] سورة الذاريات:١٧.
[١٩٠] لغات القبائل، ص٢٥٥.
[١٩١] آل عمران: ١١٣.
[١٩٢] لغات القبائل، ص٢٩.
[١٩٣] سورة البقرة: ٢١٣.
[١٩٤] لغات القبائل، ص٥٠.
[١٩٥] سورة يوسف: ٤٥.
[١٩٦] لغات القبائل، ص١٤٧.

لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾[١٩٧]؛ أي: القمصان[١٩٨].

- اختلاف الحركات باختلاف اللهجات

١ ـ ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾[١٩٩]. «قَرْحٌ» بلغة أهل الحجاز و«قُرح» بلغة تميم[٢٠٠].
٢ ـ ﴿انْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾[٢٠١]، «ثَمَره» بلغة كنانة، وثُمُره بلغة تميم[٢٠٢].
٣ ـ ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾[٢٠٣]، «سِخْرياً» بلغة قريش. و«سُخْرياً» بلغة تميم[٢٠٤].

للإلهام نصيب

ما من شيء إلا ويمكن استخراجه من القرآن الكريم لمن فهّمه الله تعالى، حتى إن بعضهم استنبط عمر النبيﷺ (ثلاثاً وستين سنة) من قوله تعالى في سورة المنافقين: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾[٢٠٥]، فإنها رأس ثلاث وستين سورة، وعقبها بـ«التغابن» في فقده ﷺ.

---

[١٩٧] سورة النحل: ٨١.
[١٩٨] لغات القبائل، ص١٦٢.
[١٩٩] سورة آل عمران: ١٤٠.
[٢٠٠] لغات القبائل، ص٧٣.
[٢٠١] سورة الأنعام: ٩٩.
[٢٠٢] لغات القبائل، ص٩٧.
[٢٠٣] سورة ص: ٦٣.
[٢٠٤] لغات القبائل، ص٢٣٥.
[٢٠٥] سورة المنافقون: ١١.

إبطال القرينة بقرينة أقوى منها

إن أبناء يعقوب ـ عليه السلام ـ لما جعلوا يوسف في غيابة الجُب جعلوا على قميصه دم سخلة؛ ليكون الدم قرينة على صدقهم في أنه أكله الذئب، فأبطلها يعقوبُ بقرينة أقوى منها، وهي عدم شق القميص، فقال: سبحان الله! متى كان الذئب حليماً كيّساً يقتل يوسف ولا يشُقّ قميصه؟ كما بيّنه تعالى بقوله: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[٢٠٦]

استنباط غريب

وهو أن حبر الأمة عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، استنبط من قوله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾[٢٠٧] بأن السلطة والملك سيكونان لمعاوية؛ لأنه من أولياء عثمان رضي الله عنه وهو مقتول ظلماً. وكان الأمر كما قال ابن عباس. هذا الاستنباط عنه ذكره ابن كثير في تفسيره هذه الآية الكريمة.

وهذا حديث رواه علي، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿مَن أشقى الأولين؟ قلت: عاقر الناقة. قال: صدقتَ، فمن أشقى الآخرين؟ قلت: لا علم لي يا رسول الله. قال: الذي يضرِبك على هذا ـ

---

[٢٠٦] سورة يوسف: ١٨.
[٢٠٧] سورة الإسراء: ٣٣.

وأشار بيده إلى يافوخه ـ فيخضب هذه من هذه ـ يعني لحيته من دم رأسه﴾. قال: فكان يقول: وِدِدت أنه قد انبعث أشقاكم. وقد ساق طرقَ هذا الحديث ابنُ كثيرٍ ـ رحمه الله ـ في تاريخه، وابنُ عبد البر في «الاستيعاب» وغيرهما. وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، رحمه الله: الذي عليه أهل التاريخ والأخبار أن قتل ابن ملجم قصاصاً لقتله علياً رضي الله عنه، لا لكفر ولا حرابة، وعلي، رضي الله عنه، لم يحكم بكفر الخوارج، ولما سئل عنهم قال: من الكفر فرّوا، فقد ذكر المؤرخون أنّ علياً، رضي الله عنه، أمرهم أن يحبسوا ابن ملجم ويُحسنوا إساره، وأنه إن مات قتلوه به قصاصاً وإن حيي فهو ولي دمه، كما ذكره ابن جرير، وابن الأثير، وابن كثير وغيرهم في تواريخهم[٢٠٨]. وحجة من قال أيضاً بكفر ابن ملجم قوية، للحديث الدال على أنه أشقى الآخرين، مقروناً بقاتل ناقة صالح المذكور في قوله تعالى: ﴿إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾[٢٠٩] وذلك يدل على كفره والعِلم عند الله أما في هذا الزمان فلا تأخذوا بكلام الأقران عندما يكفّرون بعضَهم ولكم فيهم حُسن الظن والله تعالى أعلم.

---

[٢٠٨] أضواء البيان، (٣ ـ ٥٥٠ـ ٥٥١).
[٢٠٩] سورة الشمس: ١٢.

توضيح

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٢١٠]. نزلت هذه الآية الكريمة في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومِسطح بن أثاثة، الذي كان من المهاجرين، وهو فقير، وكانت أمه ابنة خالة أبي بكر رضي الله عنه، وكان أبو بكر ينفق عليه؛ لفقره وقرابته وهجرته، وكان ممن تكلم في أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، بالإفك المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾[٢١١]. فلما نزلت براءة عائشة ،رضي الله عنها، حلف أبو بكر ألا ينفق على مسطح، فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٢١٢]. وقوله: «لايأتل»؛ أي لا يقصر أصحاب الفضل والسعة كأبي بكر في إيتاء أولي القربى كمسطح. وقوله تعالى: «وليعفوا وليصفحوا»، أمرٌ من الله تعالى للمؤمنين، إذا أساء إليهم بعض إخوانهم المسلمين، أن يعفوا عن إساءتهم ويصفحوا. وأصل العفو: من «عفت الريح الأثر» إذا طمسته. فليطمِسوا آثار الإساءة بحلمهم وتجاوزهم. أما الصفح فمشتق من صفحة العنق؛ أي:

---

[٢١٠] سورة النور:٢٢.
[٢١١] سورة النور: ١١.
[٢١٢] سبق برقم ٢٠٦.

أعرضوا عن مكافأة إساءتهم فكأنهم تولونها بصفحة العنق معرضين عنها.

إن ما تضمنته الآية من العفو والصفح جاء مبيّناً في مواضع أخرى، كقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٢١٣]. وقد دلت هذه الآية على أن كظم الغيظ والعفو عن الناس من صفات أهل الجنة وكفى بذلك حثاً على ذلك، ودلت على أن ذلك من الإحسان الذي يحب الله المتّصفين به. أما قوله تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، فدليل على أن العفو والصفح عن المسيء المسلم من موجبات غفران الذنوب. والجزاء من جنس العمل، ولذا لما نزلت قال أبو بكر: «بلى والله نحب أن يغفر لنا ربنا»، ورجَع رضي الله عنه ينفق على مسطح، ولا يخفى أن مفعول «يغفر» محذوف؛ للعلم به؛ أي: أن يغفر الله لكم ذنوبكم. وقوله تعالى: «أولي القربى»؛ أي: أصحاب القرابة. ولفظة «أولي» اسم جمع لا واحد له من لفظه، ملحق بجمع مذكر سالم.

ههنا تنبيه مهم جداً، وهو أن الآية دليل على أن كبائر الذنوب لا تحبط العمل الصالح؛ لأن هجرة مسطح بن أثاثة من عمله الصالح، وقذفه لعائشة من الكبائر، ولم يبطل هجرته؛ لأن الله تعالى قال فيه بعد قذفه لها

---

[٢١٣] سورة آل عمران: ١٣٥.

﴿وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، لما سبق من فضل الهجرة في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾[٢١٤]. فدل ذلك على أن هجرته في سبيل الله، لم يحبطها قذفه لعائشة رضي الله عنها، وكذلك سائر الكبائر، فإنه لا يحبط الأعمال إلا الشرك بالله، وقال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[٢١٥]. قال القرطبي: قال عبد الله بن مبارك: هذه أرجى آية في كتاب الله من حيث لُطفُ اللهِ بأولئك العُصاة...

---

[٢١٤] سورة آل عمران: ١٩٥.
[٢١٥] سورة الزمر: ٦٥.

«لا أدري... والله أعلم»

إن أعز ما يقدمه الإسلام إلى المنهج العلمي مبدأ «لا أدري». وهذا المبدأ يقوم أساساً على أصل من أصول العقيدة في استحالة إحاطة الإنسان بكل شيء علماً، فالله سبحانه وحدَه الذي ﴿أحاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلماً﴾[٢١٦]. أما نحن – البشرَ- فمخاطبون: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾[٢١٧] حتى الرسلُ، عليهم السلام، لم يكن لهم علمٌ إلا بما تلقَّوه من وحي الله تعالى، وما كان لأحد منهم أن يُجيب بغير «لا أدري» في ما لم ينزل فيه وحيٌ. وسيدنا رسول الله ﷺ سأله أحبار اليهود عما لا يدري من أمر الروح، فتلا من كلمات ربه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، الآية. وسأله قومه عن الساعة، ولا علم له بها، فكان الرد من الوحي: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۞ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ۞ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ۞ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا﴾[٢١٨]. وأيضاً: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَايَعْلَمُونَ﴾[٢١٩].

---

[٢١٦] سورة الطلاق: ١٢.
[٢١٧] سورة الإسراء: ٣٥.
[٢١٨] سورة النازعات: ٤٢-٤٥.
[٢١٩] سورة الأعراف: ١٨٧.

إن العالم إنسان، والإنسان بشَرٌ، عُرضة لأن يسهوَ ويغفُل وينسى ما تعلمه، والعلماء يتفاوتون، لا باختلاف علومهم فحسب، بل يتفاوتون كذلك في العلم الذي تخصصوا فيه بمقدار ما يتاح لكل منهم من رسوخ في العلم الذي تفرغوا له، ونفاذ في دقيق مسائله، وفِقه لأسراره، وتصدُق عليهم جميعاً الآية: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[٢٢٠].

والمسؤول في ما لا يدري لا يخرج عن إحدى ثلاث:

ـ أن يكذب، وذلك من الكبائر، وفي الحديث المتواتر: ﴿مَن كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ﴾[٢٢١].

ـ أو يَرجُمَ بالظن، وذلك محظور في الإسلام: ﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾[٢٢٢].

ـ فلم يبق إلا الثالثة: أن يقول: «لا أدري». قال ﷺ: ﴿يا أيُّها النَّاسُ مَن علِم شيئًا فلْيقُلْ به ومَن لَمْ يعلَمْ شيئًا فلْيقُلِ : اللهُ أعلَمُ فإنَّ مِن العلمِ أنْ يقولَ الرَّجُلُ لِمَا لا يعلَمُ : لا أعلَمُ﴾[٢٢٣]: «الله أعلم».

وقد تلقّى هذه المقولةَ (لا أدري ـ لا أعلم) تلاميذُ مدرسة النبوة من الصحابة والتابعين، فقال ابن عباس، رضي الله عنهما: إذا أخطأ العالم «لا أدري» أصيبت مقاتله. وسئل سعيد بن جبير عن مسألةٍ في الدين فقال: لا أعلم.

---

[٢٢٠] سورة يوسف: ٧٦.
[٢٢١] صحيح البخاري، برقم ١٢٩١.
[٢٢٢] سورة النجم: ٢٨.
[٢٢٣] صحيح ابن حبان، برقم ٦٥٨٥.

- ويروون عن القاسم بن محمد أن رجلاً حضر مجلسه، فسأله عن شيء، فقال رضي الله عنه: لا أحسنه. فجعل الرجل يقول: إني رفعت إليك السؤال لا أعرف غيرك، فرد عليه القاسم: «لا تنظر إلى طول لحيتي وكثرة الناس حولي، والله ما أُحسِنُهُ». فقال شيخ من قريش، وكان حاضراً بالمجلس:" «يا ابن أخي، الزمها، فوالله ما رأيتك في مجلس أنبلَ منك اليوم». فقال القاسم: «والله لَأنْ يُقطعَ لساني أحبُّ إليّ من أن أتكلم بما لا أعلم».

ذكرها الإمام مالك، وقال: «لأن يعيشَ الرجل جاهلاً خيرٌ مِن أن يقول على الله ما لا يعلم، هذا أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، وقد خصه الله بما خصه من الفضل، يقول: لا أدري.

أما شيخ مالك (سفيان الثوري) فقال: «أدركنا الفقهاء وهم يكرهون أن يجيبوا في المسائل والفتيا حتى لا يجدوا بُدّاً من أن يفتوا، وإن أعفوا منها كان أحبَّ إليهم».

وأما الإمام أحمد بن حنبل فقال: «مَن عرّض نفسَه للفتيا فقد عرّضها لأمر عظيم، إلا أنه قد تلجئ إليه ضرورة».

مِن هنا دخل الالتزام كلمة (والله أعلم) يثبتها علماء الإسلام بعد الذي يقدمون أو يدونون من علم.

ولعلها (لا أدري) التي تحمي الأمة من جرأة من يجسر على ادّعاء العلم بكل شيء. ولم يخش سيدنا محمد، ﷺ على الدين إلا من آفته: ﴿آفةُ الدِّينِ ثلاثةٌ: فَقيهٌ فاجرٌ، وإمامٌ جائرٌ ومجتَهدٌ جاهلٌ﴾[٢٢٤].

فأين نحن اليوم من «لا أدري» و«الله أعلم»؟ وفينا من يخوض في كل علوم الدين والدنيا وغيب الآخرة؟

قال رسول الله ﷺ: ﴿إنَّ اللَّهَ لا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، ولَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بقَبْضِ العُلَمَاءِ، حتَّى إذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فأفْتَوْا بغيرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا﴾[٢٢٥]

وجوب الرجوع إلى المتخصصين

أيها الأحبة: افرضوا أننا جميعاً نتابع مجلة طبية عالمية متخصصة، ثم صادف يوماً أنْ مرِض طفلنا وبان لنا، من خلال مطالعتنا، أن الدواء «سين» مناسب لطفلنا، فهل نتبع قناعتنا الذاتية فنقدم الدواء لهذا الطفل البريء، أم نسأل أهل الاختصاص ونتركَ الخبز للخباز؟ الجواب عند أولي الألباب هو: «وجوبُ الرجوعِ إلى المتخصصين، فهُم المصدر الوثيق للمستوضحين»: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢٢٦].

إن أهل الذكر هم العلماء الذين يتصفون بالتقوى، ويتّسمون بالعلم الشرعي

---

[٢٢٤] سبق تخريجه برقم ٦٠.
[٢٢٥] صحيح البخاري، برقم ١٠٠.
[٢٢٦] سورة النحل:٤٣، وسورة الأنبياء: ٧.

الصافي، ويتوجون تقواهم وعلمهم الشرعي بالتمكن من علوم اللغة العربية، ولا سيما علوم النحو الصرف والبلاغة، يُمعنون النظر في النص إمعاناً ينمّ على الدربة والمران والتمرس، فيدرسونه ويستنبطون له:

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ لَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٢٢٧].

إن المسلمين تأثروا ـ منذ الصدر الأول ـ بدعوة القرآن الكريم إلى الإفادة من علم المتخصصين. فهذا عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، كان قد نبه إلى التخصصات الدقيقة لبعض علماء الصحابة، فهو القائل: أيها الناس! من أراد أن يسأل عن القرآن فليأتِ أبَيّ بن كعب، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتيني، فإن الله جعلني له خازناً وقاسماً[٢٢٨].

أما نحن فإننا نقتفي أثر شيخ واحد: عنده علومُ الأولين والآخرين! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

[٢٢٧] سورة النساء:٨٣.

[٢٢٨] إعلام الموقعين، لابن القيم،١ ـ ٢٥ ط. دار الكتب الحديثة بتحقيق عبد الرحمن الوكيل.

أشهر ألقابِ مَن يقوم بمَهمَّة التعليم

الفقيه، المحدِّث، المفسِّر، المُقرئ، الأصولي، المتكلّم، النحْوي، اللُّغَوي، الحكيم، المنطقي، الجدَلي، الخلافي، العطّار، شيخ الإسلام، قاضي القضاة، العابد، الزاهد، الإمام، الأستاذ...

هذه الألقاب وغيرُها لم تكن تمنح بشكل عشوائي، ولكنها كانت تعكس المكانة العلمية والاجتماعية للعالم. أما في الغرب فربما كانت الألقاب التعليمية قد نشأت من أصل شبيه بالأَصل العربي، فإذا أنهى الطالب الغربي دروسه واستحق أن يكون معلماً أعطي لقب «بكالوريوس» وهو أقل الدرجات في سلّم التعليم، ثم لُقب بلقب معلم أو أستاذ «ماجستير»، وأخيراً مُنِح رتبة «الدكتور» وهي أعلى رتبة وصل إليها المعلم.

وها هي ذي بعض الألقاب الشرقية مع بعض المِيزات لها:

١ ـ العالِم: المختص بهذه اللفظة في الحقيقة العلماء، وقد قصد بالعالم في الأساس ذلك المختص بالعلوم الدينية، ولكن مع الأيام أخذ يطلق على المختصين بغير العلوم الدينية.

٢ ـ الإمام: يشير إلى رتبة عالية من التعليم، ولاسيما عند استقراء أسماء من أعطوا هذا اللقب، أمثال إمام الحرمين الجويني والغزالي والأئمة الأربعة، وهم: الشافعي ومالك وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل.

لقد كان لقب «الإمام» يعطى للواقفين على العلوم الدينية ثم أعطي لغيرها.

٣ ـ الشيخ: هو من استبانت فيه السنُّ وظهر عليه الشيب، من سن خمسين إلى الثمانين، وهو من ألقاب العلماء، ولقب به أهل العلم والصلاح؛ توقيراً لهم، كما يوقر الشيخ الكبير.

٤ ـ الفقيه: من ألقاب الفقهاء، ويقع على المجتهد دون المقلِّد.

٥ ـ الأستاذ: لقب فارسي، أطلق أولاً على أصحاب الصنائع، ثم أطلق على من أظهر مهارة في التعليم وكان غزيرَ العلم.

٦ ـ المدرِّس: هو الذي يتصدى لتدريس العلوم الشرعية من تفسير وحديث وفقه ونحو وتصريف، ونحو ذلك.

٧ ـ المعلّم: هو أقل الرتب العلمية، ويقرن بتعليم الأولاد والصِّبيَة والكُتّاب، وقد ألف الجاحظ «رسالة المعلمين»، وتحدث عن المعلمين في كتابه «البيان والتبيين» وملأهما بالحكايات الدالة على حماقة المعلمين وضعف عقولهم، وقال: «من أمثال العامة: أحمق من معلم كُتّاب»[٢٢٩].

«آدم متز» يرى أن هذا الحط من قيمة المعلم يعود إثمه على الروايات اليونانية الهزلية؛ لأن المعلم فيها كان من الشخصيات المضحكة[٢٣٠].

٨ ـ المؤدِّب: هو معلم خاص يعلم الطلبة في بيوتهم، وله مواصفات ذكرها ابن سينا في كتاب «السياسة» بأن يكون عاقلاً ذا دين، بصيراً برياضة الأخلاق، وَقوراً رزيناً، بعيداً عن الخفة والسُّخف، حلواً لبيباً، ذا مروءة ونظافة ونزاهة، عرف آداب المجالسة والمؤاكلة والمحادثة والمعاشرة.

---

[٢٢٩] البيان والتبيّن: ١/١٣٦.

[٢٣٠] الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ١/٣٠٧.

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾[٢٣١]

للمسلمين تصنيفٌ في كل علم من علوم الحياة، فعلم السياسة ـ مثلاً ـ قديم، ولا يخلو كتاب من كتب الفقه من أبحاث في السياسة، تُدْرَس في أبواب متفرقة: مثل كتاب الجهاد، وكتاب الخراج، وكتاب الجزية، وكتاب القضاء، وكتاب الحدود، وكتاب عقد الذمة، وغير ذلك من الأبواب. وممن أفرد علمَ السياسة بالتصنيف:

ـ الماوردي (ت ٤٥٠ هـ)، له كتاب «الأحكام السلطانية والولايات الدينية»، وفيه يتناول بالبحث والتحليل سائر مؤسسات الحكم المعروفة آنئذٍ، ويدلي باجتهادات سياسية ناضجة.

ـ الكِندي (ت ٣٥٠هـ)، له كتاب «الولاة والقضاة»، تحدث فيه عن النظام السياسي والقضائي في الإسلام.

ـ ابن تيمية (ت ٧٣١هـ)، له كتاب «السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية»، وقد تحدث فيه عن نظام الحكم في الإسلام، وفصّل القول في موارد الدولة الاقتصادية.

ـ ابن الفراء: الحسين بن محمد، وله كتاب «رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة»، تناول فيه الشروط الواجب توافرُها في مَن يتولى الوظائف السياسية.

---

[٢٣١] سورة الأعلى: ٧.

ـ ابن قتيبة الدِّينوري (ت ٢٧٦ هـ)، له كتاب «الإمامة والسياسة»، وهو دراسة تاريخية لتطور النظم السياسية في الإسلام.

لقد كان لتنوع الأنظمة السياسة في العالم الإسلامي أثرٌ كبيرٌ في غِنى المعرفة السياسية وتطور أنظمتها، وقد أفادت الحضارة الأوروبية كثيراً من تجربة المسلمين في السياسة والحكم، حتى دخلت المصطلحات السياسية العربية بكثرة في اللغات اللاتينية، ولا بأس من إيراد أمثلة في اللغة الإنجليزية:

العربي	الإنجليزي		العربي	الإنجليزي
الحاكم	HAKIIM		إمام المسلمين	IMAM
القاضي	CADI		مفتي	MUFTI
وزير	WAZIER		خليفة	CALIPH
النظام	NIZAM			

أما في علم الاقتصاد، فأذكر على جناح السرعة، احتراماً لوقت الخاطرة مَن أفرد هذا العلم بالتصنيف:

ـ القاضي أبو يوسف (ت ١٨٢ هـ)، له كتاب «الفرائض» وكتاب «الوصايا» وكتاب «البيوع».

ـ يحيى بن آدم القرشي الأموي (ت ٢٠٣ هـ)، له كتاب «الخراج».

ـ أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي الأزدي (ت ٢٢٤ هـ)، له كتاب «الأموال» قصد فيه إلى نظم اقتصادية واحدة في العالم الإسلامي، على أساس تحديد قيم ثابتة في التعامل التجاري.

الإنسان والمستقبل

- ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۞ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[٢٣٢].
- ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[٢٣٣]: شكلاً، وصورةً، وإنسانيةً.
- ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۞ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾[٢٣٤].
- ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾[٢٣٥].
- ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۞ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ۞ كَلَّا...﴾[٢٣٦].
- ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا﴾[٢٣٧].
- ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾[٢٣٨].
- ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾[٢٣٩].
- ﴿أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾[٢٤٠].

---

[٢٣٢] سورة الرحمن: ٤.
[٢٣٣] سورة التين: ٤.
[٢٣٤] سورة العلق: ٦.
[٢٣٥] سورة فصلت: ٥١.
[٢٣٦] سورة الفجر: ١٥ – ١٧.
[٢٣٧] سورة الزمر: ٤٩.
[٢٣٨] سورة عبس: ١٧.
[٢٣٩] سورة الطارق: ٥.
[٢٤٠] سورة يس: ٧٧.

- ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا﴾[٢٤١]: الظلم والجهل هما أساس كل بلاء.

- ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا﴾[٢٤٢].

- ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا﴾[٢٤٣].

- ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا﴾[٢٤٤] نعم يجحد النعم فلا يشكر الله قولاً وعملاً، والشكر هو قيد النعم وحارسُها.

- ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾[٢٤٥].

- ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۞ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ ۞ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[٢٤٦].

- ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾ [٢٤٧].

- ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾[٢٤٨].

- ﴿يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾[٢٤٩].

- ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ﴾[٢٥٠]، ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾[٢٥١].

---

[٢٤١] سورة الأحزاب: ٧٢.
[٢٤٢] سورة الإسراء: ١١.
[٢٤٣] سورة الإسراء: ١٠٠.
[٢٤٤] سورة الإسراء: ٦٧.
[٢٤٥] سورة الكهف: ٥٤.
[٢٤٦] سورة العاديات: ٦ – ٨.
[٢٤٧] سورة المعارج: ١٩.
[٢٤٨] سورة القيامة: ٣٦.
[٢٤٩] سورة القيامة: ١٣.
[٢٥٠] سورة النازعات: ٣٥.
[٢٥١] سورة النجم: ٤٠.

- ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾[٢٥٢].

- ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[٢٥٣]: لم ينف الله ما سُعِي له، إطلاقاً.

- ﴿وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[٢٥٤]: **آمنوا** = إيمان واضح، و**عمِلوا الصالحات** = عمل صالح، وتواصَوا بالحق وتواصوا بالصبر= التفاعل: صيغة تفيد المشاركة؛ وذلك هو السلوك الراشد.

إن أمة محمد ﷺ هم صفوة عباد الله، وهم عند الله تبارك وتعالى ثلاثة أصناف: ليسوا بسلفية، وليسوا بأشعرية، وليسوا بصوفية، أبداً: هم ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات.

بشارتي لكم: هؤلاء داخلون جميعاً في الجنة، بفضل الله وبرحمته سبحانه وتعالى، ثم بشفاعة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ۞ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا...﴾[٢٥٥] قالت العلماء: حق لهذه «الواو» في «يدخلونها» أن تكتب بماء العينين.

وعندنا آية تبشرنا بأن المستقبل للإسلام بإذن الله ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ

---

[٢٥٢] سورة الانفطار: ٦.
[٢٥٣] سورة النجم: ٣٩.
[٢٥٤] سورة العصر: ١ – ٣.
[٢٥٥] سورة فاطر: ٣٢، ٣٣.

بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[٢٥٦]. نعم سوف يظهر.
استمعوا إلى الصادق المصدوق، الرحمة المهداة سيدنا وحبيبنا وسعادتنا محمد ﷺ: ﴿إنَّ اللهَ زَوى (أي جَمَعَ وَضَمَّ) ليَ الأرضَ فَرَأيتُ مَشارِقَها وَمَغارِبها وَإنَّ أمَّتي سَيَبْلُغُ مُلكُها ما زُوِيَ لي مِنها﴾[٢٥٧]
ـ ﴿... سُئِلَ رسول الله ﷺ أيُّ المدينتيْنِ تُفتحُ أولًا أقسطنطينيّة أو روميّة؟ فقال ﷺ: مدينةُ هِرَقْلَ تُفتَح أوّلاً، يعني قسطنطينة﴾[٢٥٨]
لقد تحقق فتح القسطنطينة على يد محمد الفاتح العثماني ـ كما هو معروف ـ وذلك بعد أكثر من ثماني مئة عام من إخبار النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم، بالفتح.

أما رومية (روما) عاصمة إيطاليا ففيها الفاتيكان مضخة النصرانية ومنبعها، ولكن عندنا آيتان: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾[٢٥٩]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[٢٦٠].
وإني أرى أن النصارى أقرب إلى الدخول في الدين الإسلامي من غيرهم، وهو ما كشفت عنه الفتوح الإسلامية، فقد انتصرت الفطرة ودخل الناس أفواجاً في دين الله، تركوا التناقض والانسياق مع العقل، فانشرحت صدورها بالإسلام ودخلته طوعاً لا قهراً.

---

٢٥٦ سورة الأنبياء: ١٠٥.
٢٥٧ سبق تخريجه برقم ٣.
٢٥٨ سبق تخريجه برقم ٥.
٢٥٩ سورة التوبة: ٣٣.
٢٦٠ سورة الأنبياء: ١٠٧.

إن أمة الإسلام التي تملك ثمانين بالمِئة من ثروات العالم، ما المانع أن تسعى إلى إنشاء سوق مشتركة؟

المسلمون في هذا العصر في حاجة إلى فهم عميق واستنباط دقيق لمقاصد الشريعة، ولا سيما المستجدات المهمة. والتزهيد في فهم الواقع غير سليم.

ـ إن المسلمين في هذا العصر في حاجة إلى تحويل العلم النظري إلى ميدان عملي، فالحديث عن صفاء العقيدة حجة على من يرفض الخضوع لله والامتثال لأمره. يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾[٢٦١] ويقول: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[٢٦٢].

توضيح

إن الحسنة العظيمة يغفر الله بها السيئة العظيمة، ففي الصحيح عن علي بن أبي طالب أن النبي ﷺ أرسله والزبير بن العوام، وقال لهما: «ائتيا روضة خاخ[٢٦٣]، فإن بها ظعينة (جارية)، ومعها كتاب». قال علي: فانطلقنا تتعادى بنا خيلُنا حتى لقينا الظغينة، فقلنا: أين الكتاب؟ فقالت: ما معي كتاب، فقلنا لها: لَتُخرجَنّ الكتاب، أو لنلقين الثياب، قال: فأخرجته من عِقاصها، فأتينا به النبي ﷺ، وإذا كتاب من حاطب (حاطب بن أبي بلتعة) إلى بعض المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ:

---

[٢٦١] سورة الصف: ١٤.

[٢٦٢] سورة الشورى: ١٣.

[٢٦٣] موضع بين مكة والمدينة بقرب حمراء الأسد من المدينة، معجم البلدان، ياقوت، ٣٣٥/٢.

ما هذا يا حاطب؟ فقال: والله يا رسول الله ما فعلت هذا ارتداداً عن ديني، ولا رضاء بالكفر بعد الإسلام، ولكن كنت امرءاً ملصقاً في قريش، ولم أكن من أنفُسها وكان مَن معك من المسلمين لهم قرابات يحمون بهم أهاليهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك منهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي. فقال عمر رضي الله عنه: دعني أضرِبْ عنق هذا المنافق. فقال النبي ﷺ: «إنه قد شهد بدراً، وما يدريك أن الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم: اعمَلوا ما شئتم فقد غفرت لكم»[٢٦٤]؟ نعم، لقد فعل حاطب بن بلتعة ما فعل، وكان يسيء إلى مماليكه، حتى إن غلامه قال: يا رسول الله والله ليدخلن حاطب ابن أبي بلتعة النار. قال: ﴿كَذَبتَ، إنهُ شَهِدَ بَدراً والحُديبيّة﴾[٢٦٥]. وعن حفصة رضي الله عنها، قالت: قال النبي ﷺ: ﴿إني لأرجو ألا يدخلَ النارَ أحدٌ إن شاء الله تعالى ممن شهد بدراً والحديبية. قالت: قلت: يا رسول الله أليس قد قال الله: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾[٢٦٦]؟ قال: ألم تسمعيه يقول: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[٢٦٧].﴾[٢٦٨].

وربما اجتمعت للمسلم سيئاتٌ وحسنات، فإنه وإن كان يستحق العقابَ على سيئاته، فإن الله يُثيبه على حسناته، ولا يحبط حسنات المؤمن لأجل ما

---

[٢٦٤] صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب الجاسوس ١٤٣/٦. وصحيح مسلم ١٩٤١/٤، ١٩٤٢.
[٢٦٥] صحيح مسلم ١٩٤٢/٤.
[٢٦٦] سورة مريم: ٧١.
[٢٦٧] سورة مريم: ٧٢.
[٢٦٨] صحيح سنن ابن ماجة ٤٢٥/٢

صدر منه. وإنما يقول بحبوط الحسنات كلِّها بالكبيرة الخوارجُ والمعتزلة، الذين يقولون بتخليد أهل الكبائر، وإنهم لا يخرجون منها بشفاعة ولا غيرها، وإن صاحب الكبيرة لا يبقى معه من الإيمان شيء! وهذه أقوال فاسدة، مخالفة للكتاب والسنة المتواترة وإجماع الصحابة رضي الله عنهم.

إطلاق «الضلال» في القرآن

١ ـ الذَّهاب عن عدم علم حقيقة الأمر كما ينبغي، كقوله تعالى على لسان إخوة يوسف مخاطبين أباهم: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾[٢٦٩]، وقوله تعالى في سيدنا محمد ﷺ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾[٢٧٠]، أي لست عالماً بهذه العلوم التي تعرف إلا بالوحي، فهداك إليها وعلمكها بما أوحي إليك من هذا القرآن العظيم، ومنه بهذا المعنى قولُ الشاعر:

وتظن سلمى أنني أبغي بها بدلاً، أراها في الضلال تَهيم

يعني أنها غير عالمة بالحقيقة في ظنها أنه يبغي بها بدلاً، وهو لا يبغي بها بدلاً، وليس مراد أولاد يعقوب الضلال في الدين؛ إذ لو أرادوا ذلك لكانوا كفاراً، وإنما مرادهم أن أباهم ـ في زعمهم ـ في ذَهاب عن إدراك الحقيقة، وإنزال الأمر منزلته اللائقة به، حيث آثر اثنين على عشَرة، مع أن العشرة أكثر نفعاً له، وأقدر على القيام بشؤونه وتدبير أموره.

٢ ـ الضلال في الدين؛ أي الذهاب عن طريق الحق التي جاءت بها الرسل عليهم السلام، وهذا أشهر معانيه في القرآن، ومنه بهذا المعنى قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[٢٧١]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الأَوَّلِينَ﴾[٢٧٢].

---

[٢٦٩] سورة يوسف: ٩٥.
[٢٧٠] سورة الضحى: ٧.
[٢٧١] سورة الفاتحة: ٧.
[٢٧٢] سورة الصافات: ٧١.

وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾[٢٧٣]، وغير ذلك من الآيات.

٣ ـ الضلال بمعنى الهلاك والغَيبة، ومنه بهذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾[٢٧٤] الآية، لأن العرب تقول: ضَلّ السمن في الطعام، إذا غاب فيه وهلك فيه. وتسمي العرب الدفن إضلالاً؛ لأنه تغيّب في الأرض، يَؤول إلى استهلاك عظام الميت فيها؛ لأنها تصير رميماً وتمتزج بالأرض. ومن إطلاق الضلال على الغَيبة قوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[٢٧٥]، أي غاب واضمحل. ومن إطلاق الضلال على الدفن قولُ النابغة الذبياني:

فآب مُضِلّوه بعين جليةٍ وغودر بالجَوْلان حزمٌ ونائل

فقوله «مُضلوه» يعني دافنيه. وقوله: بعين جلية؛ أي بخبر يقين. والجَولان: جبل دفن عنده المذكور.

ومن الضلال بمعنى الغَيبة والاضمحلال قول الأخطل:

كنتَ القذى في موجِ أكدرَ مُزبدٍ قُذِفَ الآتيُّ به فَضَلّ ضلالا

وقولُ الآخَر:

ألم تسألْ فتُخبِرَك الديارُ على الحي المُضَلَّلِ أين ساروا

---

[٢٧٣] سورة يس: ٦٢.
[٢٧٤] سورة السجدة: ١٠.
[٢٧٥] سورة هود: ٢١.

﴿وفي السماء رزقكم﴾[٢٧٦]

السورة الواحدة والخمسون في كتاب الله هي الذاريات. سوف نعيش لحظاتٍ مع الآيتين الثانية والعشرين، والثالثة والعشرين.

قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ لقد اختلف العلماء في المراد بكون رزق الناس في السماء، فذهبت جماعة من أهل العلم أن المراد أن جميع أرزاقهم منشؤها من المطر وهو أنزِل من السماء.

ويكثر في القرآن الكريم إطلاق اسم الرزق على المطر، لهذا المعنى، كقوله تعالى: ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ﴾[٢٧٧] الآية. وإنزاله تعالى الرزق من السماء بإنزال المطر من أعظم آياته الدالة على عظمته، ومن أعظم آلائه على خَلقه في الدنيا، ولذلك كثر الامتنان به في القرآن على الخلق. وقال بعض أهل العلم: معنى قوله «وفي السماء رزقكم» أن أرزاقكم مقدرة مكتوبة، والله سبحانه يدبّر أمر الأرض من السماء، كما قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾[٢٧٨] الآية. قوله تعالى: «وما توعدون» ما: هذه في محل رفع عطف على قوله «رزقكم»، والمراد بما يوعدونه إنما هو من الخير والشر، كله مقدر في السماء. وقد وردت قصص في تفسير هذه الآية، وسأكتفي بواحدة

---

[٢٧٦] سورة الذاريات: ٢٢.
[٢٧٧] سورة الجاثية: ٥.
[٢٧٨] سورة السجدة: ٥.

ذكرها الزمخشري عن الأصمعي، قال: أقبلت من جامع البصرة فطلع أعرابي على قعود له، فقال: ممن الرجل؟ قلت: من بني أصمع. قال: من أين أُقبلت؟ قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن. فقال: اتلُ عليَّ، فتلوت: «والذاريات...»، فلما بلغت قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ قال: حسبك، فقام إلى ناقته فنحرها ووزعها على من أقبل وأدبر، وعمَد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وولى، فلما حَججت مع الرشيد طفِقت أطوف فإذا أنا بمن يهتف بي بصوت رقيق فالتفت فإذا أنا بالأعرابي قد نحل ولونه اصفر، فسلّم علي واستقرأ السورة، فلما بلغت الآية صاح، وقال: قد وجدنا ما وعدَنا ربُّنا حقاً، ثم قال: وهل غيرُ هذا؟ فقرأت: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾[٢٧٩] فصاح وقال: يا سبحان الله! من ذا الذي أغضب الجليل حتى حلَف؟ لم يُصدّقوه بقوله حتى حلف، لم يصدقوه بقوله حتى ألجؤوه إلي اليمين (قالها ثلاثاً)، وخرَجت معها نفسُه.

---

[٢٧٩] سورة الذاريات: ٢٣.

تفسير آية

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٢٨٠].

فمن يأمر اللهُ تعالى؟ الجواب أنه ـ سبحانه ـ يأمر خَلقه.

مَن ينهى الله تعالى؟ الجواب أنه ـ سبحانه ـ ينهى خلقه.

نعم. لقد حذف مفعول كل من «يأمر» و«ينهى» لقصد التعميم.

من الآيات التي أمر الله فيها بالعدل قوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[٢٨١]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ﴾[٢٨٢]. ومن الآيات التي أمر الله فيها بالإحسان قوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٢٨٣]، وقوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[٢٨٤]، وقوله: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ الأَرْضِ﴾[٢٨٥]، وقوله سبحانه :﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾[٢٨٦]،

---

[٢٨٠] سورة النحل: ٩٠.
[٢٨١] سورة المائدة: ٨.
[٢٨٢] سورة النساء: ٥٨.
[٢٨٣] سورة البقرة: ١٩٥.
[٢٨٤] سورة الإسراء: ٢٣.
[٢٨٥] سورة القصص: ٧٧.
[٢٨٦] سورة البقرة: ٨٣.

وقوله: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾[٢٨٧]. ومن الآيات التي أمر فيها بإيتاء ذي القربى قوله: ﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[٢٨٨] وقوله: وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾[٢٨٩] وقوله: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى...﴾ [٢٩٠] وقوله: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ* يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ﴾[٢٩١]، إلى غير ذلك من الآيات. ومن الآيات التي نهى الله فيها عن الفحشاء والمنكر والبغي قوله: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ...﴾[٢٩٢] الآية، وقوله:﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ...﴾[٢٩٣] وقوله: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾[٢٩٤]. والمنكر، وإن لم يُصرَّحْ باسمه في هذه الآيات، فهو داخل فيها. ومن الآيات التي جمع الله فيها بين الأمر بالعدل والتفضل بالإحسان قوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾[٢٩٥] فهذا عدل، ثم دعا إلى

---

[٢٨٧] سورة التوبة: ٩١.
[٢٨٨] سورة الروم: ٣٨.
[٢٨٩] سورة الإسراء: ٢٦.
[٢٩٠] سورة البقرة: ١٧٧.
[٢٩١] سورة البلد: ١٤، ١٥.
[٢٩٢] سورة الأنعام: ١٥١.
[٢٩٣] سورة لأعراف: ٣٣.
[٢٩٤] سورة الأنعام: ١٢٠.
[٢٩٥] سورة النحل: ١٢٦.

الإحسان بقوله: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾[٢٩٦]. وقوله: ﴿وجزاءُ سيئةٍ سيئةٌ مثلُها﴾[٢٩٧] فهذا عدل، ثم دعا إلى الإحسان بقوله: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾[٢٩٨]. وقوله: ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾[٢٩٩] فهذا عدل، ثم دعا إلى الإحسان بقوله: ﴿مَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾[٣٠٠]. وقوله: ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾[٣٠١] فهذا عدل، ثم دعا إلى الإحسان بقوله: ﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾[٣٠٢]. وغير ذلك من الآيات.

والعدل في اللغة: القِسط والإنصاف وعدم الجَور. وأصله: التوسط بين المرتبتين: «الإفراط والتفر يط». فمن جانَب الإفراطَ والتفريط فقد عدل.

والإحسان: مصدر أحسن. وأحسن العامل عمله؛ أي: أجاده وجاء به حسناً. والإحسان إلى خلق الله لوجه الله عملٌ أحسنَ فيه صاحبُه. وقد فسّر النبي ﷺ الإحسان في حديث جبريل بقوله: ﴿أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك﴾[٣٠٣].

أما قوله تعالى: «يعظكم لعلكم تذكرون»: فالوعظ هو الكلام الذي تلين له

---

[٢٩٦] المصدر السابق.
[٢٩٧] سورة الشورى: ٤٠.
[٢٩٨] المصدر نفسه.
[٢٩٩] سورة المائدة: ٤٥.
[٣٠٠] المصدر السابق.
[٣٠١] سورة الشورى: ٤١.
[٣٠٢] سورة النساء: ١٤٩.
[٣٠٣] صحيح البخاري: ٥٠.

القلوبُ، وأعظم ما تلين له قلوب العقلاء أوامرُ ربهم ونواهيه، فإنهم إذا سمعوا الأمرَ خافوا من سخط الله في عدم امتثاله، وطمِعوا في ما عند الله من الثواب في امتثاله. وإذا سمعوا النهيَ خافوا من سخط الله في عدم اجتنابه، وطمِعوا في ما عند الله من الثواب في اجتنابه، فحداهم حادي الخوف والطمع إلى الامتثال، فلانت قلوبهم للطاعة؛ خوفاً وطمعاً.

والفحشاء في لغة العرب: الخصلة المتناهية في القبح، ومنه قيل: البخل فاحش، كما في قول طرفة في معلقته:

أرى الموتَ يعتام الكرامَ ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد

والمنكر: اسم مفعول بـ «أُنكِر»، وهو في الشرع ما أنكره الشرع ونهى عنه وأوعد فاعله العذاب.

والبغي: الظلم، وقد بيّن تعالى أن الباغيَ يرجِع ضررُ بغيِه على نفسه في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم﴾ [٣٠٤]، وقولِه: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾[٣٠٥].

وإيتاء ذي القربى: إعطاء صاحب القرابة من جهة الأب أو الأم، أو هما معاً؛ لأن إيتاء ذي القربى صدقةٌ وصِلة رحِم.

---

[٣٠٤] سورة يونس: ٢٣.
[٣٠٥] سورة فاطر: ٤٣.

نطفة أمشاج

نعم هذا هو خلق الإنسان ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾[٣٠٦]؛ أي أخلاط من ماء الرجل وماء المرأة. أخرج الطستي عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق قال: أخبِرني عن قوله «مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ»؟ قال: اختلاط ماء الرجل وماء المرأة إذا وقع في الرحم. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم. أما سمعتَ أبا ذؤيبٍ وهو يقول:

كأن الريش والفوقَين منه خلالُ الفصلِ خالطه مَشيجُ

إذا عرفت معنى ذلك فاعلم أنه تعالى بيّن ذلك الماء الذي هو النطفة، منه ما هو خارج من الصلب، وهو ماء الرجل، ومنه ما هو خارج من الترائب، وهو ماء المرأة، وذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۞ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۞ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾[٣٠٧] لأن المراد بالصلب صلب الرجل، وهو ظهره، والمراد بالترائب ترائب المرأة، وهي موضع القلادة منها، ومنه قول امرئ القيس:

مُهفهفةٌ بيضاءُ غيرُ مُفاضةٍ ترائبُها مصقولة كالسَّجنجَلِ

وهكذا فإن الأمشاج هي الأخلاط المذكورة، وأمْرُ الإنسانِ بأن ينظر «مم خلق»؟ تنبيهٌ له على حقارة ما خُلق منه، ليعرف قدره، ويترك التّكبر

---

[٣٠٦] سورة الإنسان: ٢.
[٣٠٧] سورة الطارق: ٥، ٦، ٧.

والعتو، ويدل لذلك قوله: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾[٣٠٨]، «وماءٌ مهين»؛ أي: حقير، وبيّن سبحانه حقارته بقوله: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ۝ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾[٣٠٩]. وخط تحت «مما» أي من الذي يعلمونه. والتعبير عن النطفة بـ«ما» الموصولة فيه غاية تحقير ذلك الأصل الذي خلق منه الإنسان، وفي ذلك أعظم ردع، وأبلغ زجر عن التكبر والتعاظم. إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان ليعبده ويخضعَ له ويُطيعَه ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٣١٠] لكن الإنس فاجأ بشدة الخصومة ﴿أَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾[٣١١]. قلنا فاجأ؛ لأن «إذا» فجائية. و: فاجأ بشدة الخصومة؛ لأن لفظ «خصيم» على وزن فعيل؛ صيغة مبالغة. وربما كانت الخصيم بمعنى المخاصم: كالجليس بمعنى المجالس. وهذا يقع كثيراً في كلام العرب.

ههنا سؤال يرِد من خلال العنوان: كيف نطفة أمشاج؛ أي: هل يوصف المفرد «نطفة» بالجمع «أمشاج» ومن شرط الصفة في النحو العربي أن تطابق الموصوف؟ والجواب أن لفظة «أمشاج» على وزن «أفعال»، وهذا الوزن جاء للمفرد، وجاء للجمع، جاء للمفرد في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا

---

[٣٠٨] سورة المرسلات: ٢٠.
[٣٠٩] سورة المعارج: ٣٨، ٣٩.
[٣١٠] سورة الذاريات: ٥٦.
[٣١١] سورة يس: ٧٧.

سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾[٣١٢]، وجاء للجمع في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[٣١٣] فـ«أنعام» مثل «أمشاج» من جهة الوزن الصرفي، وهو «أفعال».

القرآن الكريم كلام الله سبحانه، نزل باللغة العربية، لكن اللغة العربية عاتبة هذه الأيام على معظم المتخصصين في علوم الشريعة الإسلامية. واللبيب من الإشارة يفهم.

---

[٣١٢] النحل: ٦٦

[٣١٣] المؤمنون: ٢١

معرفة العربية فرض

لقد قُدر للغة العربية أن تبلغ أوج مجدها عندما صارت لغة الإسلام، وبها نزل القرآن الكريم: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٣١٤].

«إن اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب. فإنّ فهم الكتاب والسنّة فرض، لا يفهمان إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتِم الواجب إلا به فهو واجب»[٣١٥]. وإنّ «أكثر من ضل من أهل الشريعة عن القصد فيها، وحاد عن الطريقة المثلى فيها، ضعفُه في هذه اللغة الكريمة الشريفة، التي خوطب فيها الكافة»[٣١٦]. ولما كان كتاب الله تعالى، والسنة المطهرة الشريفة مصدري الشريعة، وقد وردا باللغة العربية، فإنه لا يمكن استنباط الأحكام منهما إلا بفهم كلام العرب، ومعرفة قواعد اللغة، ودلالات الألفاظ على المعاني. وكم كان الجهل باللغة سبباً لكثير من الزلات التي أحدثت فتناً في العقائد أو في العبادات أو في الندوات. وقد جعل العلماء من شروط الاجتهاد المعرفة بالنحو، فهو في العلم كالملح في الطعام، لا يستغنى عنه، وهكذا فإن المجتهد لو جمع كل العلوم لم يبلغ رتبة الاجتهاد حتى يعلم النحو، الذي يقصد منه الإعراب والتصريف. فالإعراب هو اختلاف أواخر الكلم، لاختلاف العوامل الداخلة عليه لفظاً أو تقديراً. وأما التصريف فهو

---

٣١٤ يوسف: ٢

٣١٥ اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية ١ ـ٤٧٠.

٣١٦ الخصائص لابن جني ٣ ـ ٢٤٥.

علم دقيق يبحث في بنية الكلمة وما طرأ عليها.

ولقد كان رسول الله ﷺ حريصاً على قراءة أمته كتابَ الله قراءةً بعيدةً من اللحن، وإلا فما معنى قوله ﷺ: ﴿أرشِدوا أخاكم﴾[٣١٧]عن ذلك الرجل الذي لحن في أثناء قراءته؟!

إن عدم الالتزام بالحركات يغيّر المعنى، فقد قرأ أحدُهم قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٣١٨] بضم العين، وإبدال الظاء ضاداً، فانقلب المعنى من الوعظ إلى العضّ!

وسمع أعرابي إماماً يقرأ الآية: ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾[٣١٩] بفتح التاء، فقال الأعرابي: «قبّحه الله لا نَنكِحهم قبل الإسلام ولا بعده»!

لقد كان السلف يعاقبون أولادهم على ارتكابهم اللحن، ولو تركوا على لحنهم لكان نقصاً وعيباً.

أما أبو بكر بن الأنباري فقال في مقدمة كتابه «المذكر والمؤنث): «من تمام معرفة النحو معرفة المذكر والمؤنث، فمن ذكر مؤنثاً أو أنّث مذكراً كان العيب لازماً له كلزومه من نصب مرفوعاً أو خفض منصوباً أو نصب مخفوضاً». والحق أن كتب النحْويين المتقدمين لم تعقد باباً للمذكر والمؤنث، فليس في كتاب سيبويه، ولا في المقتضب للمبرد بابٌ يحمل هذه التسمية. ولعل كتاب «الجُمَل» للزّجّاجي أقدمُ كتابٍ خصص باباً من أبوابه

---

[٣١٧] المستدرك، للحاكم، ج٢، ص٣٤٩.
[٣١٨] لقمان:١٣
[٣١٩] البقرة: ٢٢١

للمذكر والمؤنث. ومن المفيد أن نذكر أن البلدان التي في آخرها ألفٌ ونون زائدتان، فإنها مذكرة، نحو: خُراسان، وحَلوان، وحَوران، وجُرجان، وأصبهان، وهمدان[٣٢٠]. أما الذراع فهي أنثى. وقد ذكرها بعضُ بني عُكْل[٣٢١] فيقال: الثوب خمسة أذرع... وخمس أذرع[٣٢٢].

إن أسماء سور القرآن الكريم كلها مؤنثة، وأما أحرف الهجاء: «ألف لام ميم» فيجوز فيها التذكير والتأنيث[٣٢٣].

إن دراسة معاني الأدوات مهم جداً، فاللام ـ مثلاً ـ لها أكثر من ثلاثين معنى، وأشهر معانيها الاستحقاق، وهي الواقعة بين معنى وذات، كقولنا: الحمد لله، فالحمد معنى؛ أي مصدر، ولفظ الجلالة ذات، فاللام في «لله» للاستحقاق. أما إذا وقعت بين اسمي ذات كان معناها الاختصاص كقولنا: الجنة للمتقين. وهكذا.

---

٣٢٠ المذكر والمؤنث لابن الأنباري تحقيق د/ الجنابي ص ٤٧٣.

٣٢١ المذكر والمؤنث للفراء ص ٧٧.

٣٢٢ المذكر والمؤنث لابن الأنباري تحقيق أستاذي العلامة المرحوم محمد عبد الخالق عُضَيمة، ص٣٩٨.

٣٢٣ سيبويه ط. بولاق ٢ ـ ٣١.

حق لهذه الواو أن تكتب بماء العينين

من أرجى آيات القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ۞ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِير ۞ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۞ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾[٣٢٤].

إن إيراث هذه الأمة لهذا الكتاب دليل على أن الله اصطفاها، وبيّن أنهم ثلاثة أقسام:

الأول: الظالم لنفسه، وهو الذي يُطيع الله، ولكنه يَعصيه أيضاً، فهو الذي قال الله فيه: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى **اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ**﴾[٣٢٥].

الثاني: المقتصِد وهو الذي يطيع الله ولا يعصيه. ولكنه لا يتقرب بالنوافل من الطاعات.

الثالث: السابق بالخيرات وهو الذي يأتي بالواجبات ويجتنب المحرمات ويتقرب إلى الله بالطاعات والقربات التي هي غير واجبة. وهذا على أصح

---

[٣٢٤] سورة فاطر: ٣٢ ـ٣٥.
[٣٢٥] سورة التوبة: ١٠٢.

الأقوال في تفسير الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق.

ثم إنه سبحانه وتعالى بيّن أن إيراثهم الكتابَ هو الفضل الكبير منه عليهم، ثم وعد الجميع - وهو سبحانه لا يُخلف الميعاد – بـ«جنات عدن يدخلونها»، إن هذه الواو في «يدخلونها» شاملة للظالم والمقتصد والسابق بالخيرات على التحقيق، ولذا قال بعض أهل العلم: «حَقّ لهذه الواو أن تكتب بماء العينين».

وقد اختلف أهل العلم في سبب تقديم الظالم في الوعد بالجنة على المقتصد والسابق، فقال بعضهم: قدّم الظالم لئلا يقنَط:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٣٢٦]، وأخّر السابق بالخيرات لئلا يعجبَ بعمله فيحبط. قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ فيكُمْ قَوْمًا يَعْبُدونَ ويَدْأَبونَ، حتى يُعْجَبَ بهمُ النَّاسُ، وتُعْجِبَهُمْ نُفوسُهم، يَمْرُقونَ منَ الدِّينِ مُروقَ السَّهْمِ منَ الرَّمِيَّةِ﴾[٣٢٧].

وهذه واو أخرى في الحديث الشريف الآتي حق لها أن تكتب بماء العينين أيضاً، قال رسول الله ﷺ: ﴿عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، عَضّوا عليها بالنّواجذ﴾[٣٢٨]، إذن، ليست سنته ﷺ وحدها، بل تشترك معها سنة الخلفاء الراشدين، رضوان الله عليهم أجمعين.

---

[٣٢٦] سورة الزمر: ٥٣.

[٣٢٧] سبق تخريجه برقم ١١٨.

[٣٢٨] سبق تخريجه برقم ١١٣.

أولاً: «عليكم»: أي الزموا، فهو اسم فعل أمر.

ثانياً: هذه الواو في قوله ﷺ «سنتي وسنة الخلفاء» حق لها أن تكتب بماء العينين، فهي عاطفة لمطلق الجمع.

ثالثاً: معنى «عضوا عليها بالنواجد»: احرِصوا عليها وتمسّكوا بها.

وسوف أكتفي بذكر سبع لكل منهم، ثم أبين لماذا العدد سبعة.

أ ـ أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

١ ـ الوتر عنده ركعة واحدة وقبل أن ينام ويقنت بعد أن يرفع رأسه من الركوع[٣٢٩].

٢ ـ أحق الناس بإنزال المرأة إلى قبرها زوجها، وقد أدخل أبو بكر امرأته قبرها دون أُقاربها[٣٣٠].

٣ ـ يرى أن الإفراد هو أفضل أنواع الحج.

٤ ـ كان يرى سجود الشكر عند تجدد نعمة أو دفع نقمة.

٥ ـ كان ينهى عن القراءة خلف الإمام.

٦ ـ عنده أن من قال لامرأته هي عليه حرام فليست عليه بحرام، وعليه كفارة يمين.

٧ ـ كان يحب الوصية بالخُمس. وقد أوصى بخُمس ماله.

ب ـ عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

١ ـ يحرم على الحائض والنفساء قراءة القرآن ولو بعض آية.

---

[٣٢٩] موسوعة أبي بكر الصديق، لمحمد رواس قلعه جي ص١٦٧.

[٣٣٠] المصدر نفسه، ص٢٢١.

٢ ـ كان يفرد بالحج، ويقول: افصِلوا بين حجكم وعمرتكم فإن ذلك أتم لحج أحدكم وأتم لعمرته أن يعتمر في غير أشهر الحج.

٣ ـ أذن لأزواج النبي ﷺ بالحج، وبعث معهن عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف.

٤ ـ كان يرى وجوب حجاب المرأة المسلمة من المرأة الكافرة، ويرى جواز نظر المسلمة إلى عورة المسلمة الأخرى.

٥ ـ عنده سجود التلاوة ليس بواجب.

٦ ـ كان يقنت في صلاة الصبح بعد الركوع ويرفع يديه حتى يبدو ضبُعاه ويسمع صوته من وراء المسجد. وكان إذا رفع يديه في الدعاء لم يحطَّهما حتى يمسحَ بهما وجهه[٣٣١].

٧ ـ أمر بأن لا يقام إلى الصلاة إلا عند قول المؤذن: قد قامت الصلاة.

ج ـ عثمان بن عفان رضي الله عنه:

١ ـ زاد أذاناً يسبق الآذان الذي بين يدي خطيب يوم الجمعة بسبب اتساع رقعة المدينة المنورة عام ٣٠ هـ وبذلك أصبح لصلاة الجمعة أذانان وإقامة كما نحن عليه في زماننا.

٢ ـ كان إذا أنهى صلاته يسلم بتسليمة واحدة عن يمينه.

٣ ـ كان إذا سلم عليه أحدٌ وهو يتوضأ لا يرد عليه حتى يفرُغ من وضوئه ويقول: رأيت رسول الله ﷺ يفعل ذلك.

---

[٣٣١] موسوعة عمر بن الخطاب، لمحمد رواس قلعة جي، ص٣٩٧.

٤ ـ كان يعطي المولودَ أولَ ما يولد خمسين درهماً، فإذا أتم عاماً من عمره أعطاه مِئة[٣٣٢].

٥ ـ رخص في أن يرفع القبر عن الأرض شيئاً يسيراً.

٦ ـ اكتفى بمسح جزء من رأسه وهو مقدم رأسه في أثناء الوضوء.

٧ ـ كان ينهى عن القراءة خلف الإمام.

د ـ علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

١ ـ كان يضحي عن رسول الله ﷺ بعد وفاته.

٢ ـ قال: لا يفتي الناس إلا من قرأ القرآن وعلم الناسخ والمنسوخ وفقه السنة وعلم الفرائض والمواريث.

٣ ـ المسافر مخير بين الأذان وتركه، ويرى أنه لا أضحية عليه[٣٣٣].

٤ ـ قال: إذا أسلم أحد الأبوين وكان الأولاد صغاراً فإنهم مسلمون بإسلام من أسلم من الأبوين، فإن كبر الأولاد وأبوا الإسلام قتلوا. أما إذا أسلم أحد الأبوين وكان الأولاد كباراً فإنهم لا يكونون مسلمين بإسلام الأبوين.

٥ ـ عنده: الأذان مثنى مثنى، والإقامة مثنى مثنى، ويرتل في الأذان، ويحدر في الإقامة. وأتى على مؤذن يقيم مرة مرة فقال: ألا جعلته مثنى؟

٦ ـ سئل عن الخوارج: أكفارٌ هم؟ فقال: من الكفر فرّوا. قيل: فمنافقون؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً. قيل: فمن هم؟ قال: هم قوم أصابتهم فتنة فعموا وصموا وبغوا علينا وقاتلونا فقاتلناهم.

---

[٣٣٢] موسوعة عثمان بن عفان، لمحمد رواس قلعة جي، ص ٢٧١.

[٣٣٣] موسوعة علي بن أبي طالب، لمحمد رواس قلعة جي، ص٩٨.

٧ ـ كان يُسِر التسمية في الصلوات السرية ويجهر بها في الصلوات الجهرية.

أما لماذا العدد سبعة؟ فالجواب ـ والله أعلم ـ أن فيه التمام، فالأسبوع سبعة أيام، والسجود على سبع، والطواف حول الكعبة سبع مرات، والسعي بين الصفا والمروة سبع مرات، والله تبارك وتعالى خلق الكون كله وقدر للمخلوفات أعمارها وأرزاقها في ستة أيام ثم استوى على العرش، والسماوات سبع، والأرضون سبع.

ومن فقه الصحابة الكرام أكتفي بواحدة لكل من ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما. أما ابن عباس فكان يرى أن ليلة القدر هي ليلة السابع والعشرين من رمضان[٣٣٤]. وأما ابن مسعود فقد صحب نصرانياً، فذهب النصراني، فقال له ابن مسعود: عليكم السلام، فقيل له: لمَ فعلتَ هذا؟ قال: «لحق الصحبة»[٣٣٥].

وأختم بقول رسول الله ﷺ: ﴿مَن يُرِدِ اللَّهُ به خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ﴾[٣٣٦].

نسأل الله أن يعلّمنا ما ينفعنا في ديننا ودنيانا ويفقهنا في الدين ويجعلنا من عباده العاملين المتواضعين المبشرين الميسرين، والحمد لله رب العالمين.

---

[٣٣٤] موسوعة ابن عباس، لمحمد رواس قلعة جي، ص٣٤٤.
[٣٣٥] موسوعة ابن مسعود، لمحمد رواس قلعة جي، ص٣٢٥.
[٣٣٦] سبق تخريجه برقم ١٦٦.

اللغة العربية والشريعة الإسلامية

سبيل المؤمنين هو طريق الحق والرشاد؛ لأنهم أصحاب سيدنا محمد ﷺ، فمن اتبع سبيلهم نجا، ومن خالف جرّ على نفسه الوبال في الدنيا وفي الآخرة وكان من النادمين.

يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[٣٣٧].

وهكذا فالفهم الصحيح لمنهاج هذا الدين الحنيف ليس القرآن وسنة المصطفى ﷺ فقط، بعيداً عن سنن الخلفاء الراشدين وسنن العربية، لأن رسول الله ﷺ بيّن في الحديث الصحيح أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، ولما سألوه عن تلك الفرقة الناجية، جاء في الحديث روايتان:

الأولى: «الجماعة»، والأخرى قوله: «ما أنا عليه وأصحابي».

وخط تحت «أصحابي» المعطوفة على الضمير «أنا» الذي يعني محمداً ﷺ. ولا شك في أن هذه الواو عاطفة لمطلق الجمع، التي تفيد الاشتراك في الحكم الواحد. ويؤيد هذا الحديثَ حديث آخر، وهو: ﴿عليكم بسُنّتي وسُنّة الخلفاء المهديين الراشدين من بعدي، عضّوا عليها بالنواجذ﴾[٣٣٨]،

---

[٣٣٧] سورة النساء: ١١٥.

[٣٣٨] تقدم تخريجه برقم ١١٣.

وهنا خط أيضاً تحت «سنة الخلفاء الراشدين» فإن الواو عاطفة لمطلق الجمع، التي تفيد الاشتراك في الحكم الواحد، وعليه فسنة الخلفاء الراشدين معطوفة على سنته ﷺ.

إن سيدنا رسول الله ﷺ رحمةٌ مهداةٌ للعالمين، وهو ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[٣٣٩] ومن رأفته ورحمته أمرنا بالعودة إلى السلف الصالح لفهم جميع الأمور التي لا بد منها، ونعني بذلك الفقهاء والعلماء الأوائل من القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية، كما جاء في الحديث الشريف: ﴿خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ...﴾[٣٤٠].

إنه لا يمكن فهم الكتاب والسنة إلا بفهم اللغة العربية والتمكن من علومها وآدابها تمكناً خاصاً. عندنا هذه الآية: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[٣٤١]. وههنا يأتي سؤال: هل حكم الله على الطائفة الباغية بالكفر؟ قد يتعجل بعض طلاب العلم الحرفيين قائلاً: أنا أذكر هذا الحديث الشريف الصحيح وأنت تحكم: هذا الحديث هو: ﴿سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وقِتَالُهُ كُفْرٌ﴾[٣٤٢]. والجواب الصحيح أن لفظة «الكفر» تعطي من المعاني

---

[٣٣٩] سورة التوبة: ١٢٨.
[٣٤٠] صحيح البخاري، برقم ٦٦٩٥.
[٣٤١] سورة الحجرات: ٩.
[٣٤٢] صحيح البخاري، برقم ٤٨.

والدلالات بقدْر ما يتاح لها من استعمالات، فقد يكون الكفر بمعنى الجحد ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[٣٤٣]؛ أي: من جحد الحج... وقد يكون الكفر على سبيل التغليظ، كقوله ﷺ: ﴿العَهْدُ الَّذي بينَنا وبينَهُمُ الصَّلاةُ ، فمَن ترَكَها فقد كفرَ﴾[٣٤٤] وكقوله ﷺ: ﴿إنَّ بيْنَ الرَّجُلِ وبيْنَ الشِّرْكِ والْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلاةِ ﴾[٣٤٥]؛ لأننا نعلم في التاريخ الإسلامي أن فرقة الخوارج هي التي كانت تكفّر مرتكب الكبيرة، أما أهل السنة والجماعة فإنها لا تستطيع التكفير لئلا يبوءَ أحد الاثنين بالكفر، كما جاء في الحديث الشريف الصحيح: ﴿أَيُّما امْرِئٍ قالَ لأَخِيهِ: يا كافِرُ، فقَدْ باءَ بها أَحَدُهُما، إنْ كانَ كما قالَ، وإلَّا رَجَعَتْ عليه﴾[٣٤٦].

إنه لا بد من التفريق بين نوعين من الكفر: الكفر الاعتقادي الذي يكون بالقلب، ولا يعلم هذا إلا الله، أو عندما يصرح المرء بلسانه عما في قلبه.

والكفر العملي لا يعني الخروج من الملة، وعليه فقوله ﷺ ﴿سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وقِتَالُهُ كُفْرٌ﴾[٣٤٧] يقصد منه الكفر العملي، لا الاعتقادي، وكلنا يعلم قتال علي ومعاوية رضي الله عنهما.

أعطوا الخبز للخباز، ووطّنوا أنفسكم على سؤال من هو أعلم منكم، وليكن في معلومكم أن من يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، من

---

[٣٤٣] سورة آل عمران: ٩٧.
[٣٤٤] سنن ابن ماجه، برقم ، ٨٩١.
[٣٤٥] صحيح مسلم، برقم ٨٢.
[٣٤٦] صحيح مسلم، برقم ٦٠.
[٣٤٧] تقدم تخريجه برقم ٣٤١.

العصاة الذين يزنون، ويشربون الخمر، ويرابون، إنما هم مسلمون، ولكن سلوكهم هذا إنما هو كفر عملي، وهذا الكفر لا يخرجهم من ملتهم، وليسوا مرتدين عن دينهم الحنيف، ولا يستطيع مؤمن عاقل وصفهم بالكفر الاعتقادي، وقد رأينا الحديث المتقدم ﴿أَيُّما امْرِئٍ قالَ لأَخِيهِ: يا كافِرُ، فقَدْ باءَ بها أَحَدُهُما، إنْ كانَ كما قالَ، وإلَّا رَجَعَتْ عليه﴾[٣٤٨].

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يدفع عنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يعلمنا ويفهمنا وأن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه. هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

---

[٣٤٨] تقدم تخريجه برقم ٣٤١.

الخليفـــــة

إنها مفرد أريد به الجمع؛ أي خلائف، والمفرد إذا كان اسم جنس يكثر في كلام العرب إطلاقه مراداً به الجمع، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾[٣٤٩]، بدليل قوله سبحانه: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ [٣٥٠]، وقوله: وقوله: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[٣٥١]، وقوله: ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾[٣٥٢]. ونظيره من كلام العرب قول عقيل بن علفة المري:

وكان بنو فزارة شرَّ عمٍ وكنتَ لهم كشر بني الأخينا

وقول العباس بن مرداس السلمي:

فقلنا اسلموا إنّا أخوكم وقد سلِمتَ من الإحن الصدورُ

وأنشد له سيبويه قول علقمة بن عبدة التميمي:

بها جيَف الحَسرى فأمّا عظامُها فبِيضٌ وأما جلدها فصليب

وقول الآخر:

كلوا في بعض بطنِكم تعفّوا فإنّ زمانكم زمنٌ خميص

نعم إن المراد من قوله تعالى: «خليفة»: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٣٥٣] إنما هو «الخلائف» من آدم وبنيه لا آدم

---

[٣٤٩] سورة القمر: ٥٤.
[٣٥٠] سورة محمد: ١٥.
[٣٥١] سورة الفرقان: ٧٤.
[٣٥٢] سورة النساء: ٤.
[٣٥٣] سورة البقرة: ٣٠.

نفسُه وحدَه، كقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾[٣٥٤]. ومعلوم أن آدم ـ عليه السلام ـ ليس ممن يُفسد فيها، ولا ممن يَسفك الدماء، وكقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾[٣٥٥]، وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾[٣٥٦]، ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾[٣٥٧]... وغير ذلك من الآيات.

ويمكن القول إن المراد بالخليفة آدم، وإن الله أعلم الملائكة أنه يكون من ذريته من يفعل ذلك الفساد وسفك الدماء، فقالوا ما قالوا، وإن المراد بخلافة آدم الخلافة الشرعية، وبخلافة ذريته أعم من ذلك وهو أنهم يذهب منهم قَرْنٌ ويخلفه قرن آخر.

---

[٣٥٤] المصدر السابق.
[٣٥٥] سورة فاطر: ٣٩.
[٣٥٦] سورة الأنعام: ١٦٥.
[٣٥٧] سورة النمل: ٦٢.

لفظ «الأمة» في القرآن

استعمل لفظ «الأمة» في القرآن الكريم أربعة استعمالات:

١ ـ المدة من الزمن، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾[٣٥٨]؛ أي: تذكر بعد مدة من الزمن.

٢ ـ استعمالها في الجماعة من الناس، وهو الاستعمال الغالب، كقوله تعالى: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾[٣٥٩]" الآية.

وقوله: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ﴾[٣٦٠] الآية، وقوله: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾[٣٦١] الآية . إلى غير ذلك من الآيات.

٣ ـ استعمال «أمة» في الرجل الذي يقتدى به، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾[٣٦٢] الآية.

٤ ـ استعمال «الأمة» بمعنى «الشريعة» و«الطريقة»، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾[٣٦٣] الآية، وقوله:

" إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾[٣٦٤]، إلى غير ذلك من الآيات.

---

[٣٥٨] سورة يوسف: ٤٥.
[٣٥٩] سورة القصص: ٢٣.
[٣٦٠] سورة يونس: ٤٧.
[٣٦١] سورة البقرة: ٢١٣.
[٣٦٢] سورة النحل: ١٢٠.
[٣٦٣] سورة الزخرف: ٢٣.
[٣٦٤] سورة الأنبياء: ٩٢.

فضيلة الحمد

قال الله تعالى في معرض الثناء:

﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣٦٥]. قال بعض السلف: افتتح الله تعالى أول الخلق بالحمد فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[٣٦٦]. وختم أمر الخلق بالحمد فقال: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٣٦٧]. فلزم الاقتداء به، والأخذ في ابتداء كل أمر بحمده وخاتمته
بحمده. وفي الحديث الشريف: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا﴾[٣٦٨].

- ﴿ما أنعم اللهُ على عبدٍ نعمةً فقال «الحمدُ للهِ» إلا كان الذي أعطاهُ أفضلَ مما أخذ﴾[٣٦٩].

إن عبداً من عباد الله قال: «يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك،

---

[٣٦٥] سورة التوبة: ١١٢.
[٣٦٦] سورة الأنعام: ١.
[٣٦٧] سورة الزمر:٧٥.
[٣٦٨] صحيح مسلم، برقم ٢٧٣٤.
[٣٦٩] سنن ابن ماجه، برقم ٣٠٨٢.

ولعظيم سلطانك ومجدك» فعضّلت بالملكين؛ أي: اشتدت عليهما وعظمت. فلم يدريا كيف يكتبانها؟ فصعِدا إلى السماء وقالا: يا ربنا إن عبدك قال مقالة، لا ندري كيف نكتبها؟ فقال الله لهما: اكتباها كما قال عبدي حتى يلقاني فأجزيَه.

قال العلماء رحمهم الله تعالى: يستحب للداعي أن يقول في آخر دعائه كما يقول أهل الجنة: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ آخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٣٧٠]. ويحسن أن يختم بآخر الصّافات: ﴿سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمّا يَصِفُونَ ۞ وسَلامٌ عَلى المُرْسَلِينَ ۞ والحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العالَمِينَ﴾[٣٧١] فإنها جمعت بين تنزيه البارئ عما نسب إليه، وبين التسليم على المرسلين، والختم بالحمد لله رب العالمين. وفي الخبر: من أحب أن يكتال بالمكيال الأدنى (أي من الأجر يوم القيامة) فليقل آخر مجلسه حين يريد أن يقوم: «سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين»[٣٧٢].

---

[٣٧٠] سورة يونس: ١٠.
[٣٧١] سورة الصافات: ١٨٠ – ١٨٢.
[٣٧٢] ذكره أبو نعيم في الحِلية.

فضيلة الدعاء

قال الأوزاعي، رحمه الله تعالى: خرج الناس مرة يستسقون، فقام فيهم بلال بن سعد ـ فحمِد الله، وأثنى عليه ثم قال: «يا معشر من حضر! ألستم مقرّين بالإساءة؟ فقالوا: بلى، فقال: اللهم إنا قد سمعناك تقول: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٣٧٣]. وقد أقررنا بالإساءة، فهل تكون مغفرتك إلا لأمثالنا؟ اللهم فاغفر لنا، وارحمنا، واسقنا»، فرفع يديه، ورفعوا أيديهم، فسقوا.

وفي هذا المعنى أنشدوا:

أنا المذنبُ الخَطّاء والعفو واسعٌ ولو لم يكن ذنبٌ لما وقع العفو[٣٧٤]

إذا تقدم الدعاءَ الاستغفار، وصاحَبَهُ وصفُ الافتقارِ والاضطرار، وتقاطرت معه الدموع، وانبعث عن خضوع في القلب وخشوع، وزانه حُسْن النية، وصِدق العبودية، وكمالُ التفويض، كان أقربَ إلى القَبول والإجابة، وحظي الداعي بالفلاح والنجاح، والله تعالى برٌّ كريم، ورؤوف رحيم.

---

[٣٧٣] سورة التوبة: ٩١.

[٣٧٤] البيت لظافر بن القاسم الحداد، من شعراء القرن السادس، عاش في الإسكندرية.

* يـا ربِّ إن ذنـوبي قـد أحـطـتَ بـهـا
عِـلـمــاً وبـي، وبـإعـلاني وإســراري
أنـا الـمـوجِّـدُ لـكـني الـمـقـرُّ بـهــا
فـهـبْ ذنوبي لـتوحـيـدي وإقـراري[٣٧٥]

* إلهي لا تعذبْني فإنـــــــــي مُـقـرٌّ بـالـذي قـد كـان مـنـي
وما لي حيلةٌ إلا رجائـــــــي لعفوك إن فعلتُ وحسن ظني
يظن الناسُ بي خيراً وإنـــي لشـرُّ الناس إن لم تعـف عني[٣٧٦]

---

[٣٧٥] البيتان لأحمد بن فارس، من سعراء العصر العباسي.
[٣٧٦] الأبيات لأبي العتاهية.

كل يوم هو في شأن

الظمأ دليل على وجود الماء، وأرضنا ظمأى إلى ماء، هذه الأرض ذات نماء وعطاء، إن اهتزت وربت أعطت سمناً وعسلاً، وزيتاً وحديداً: سمناً عربياً أصيلاً إداماً، وعسلاً فيه شفاء لعيال الله جميعاً، وزيتاً عربياً أصيلاً من زيتونٍ أقسم به مالك الكون رب العالمين، وحديداً نصنع منه الباخرات والطائرات والدبابات والغواصات، ونحن رجال أغنياء الحال والنفس.

إن الله تبارك وتعالى أنشأنا من الأرض، والأرض أمّنا الحنون، والسجود أبلغ عند المسلمين من الركوع، وعندما طلب منا ربنا إعمار الأرض، وجعل هذه العمارة وظيفة كل عاقل، فإن هذه العمارة كعمارة المساجد: حساً (بناء)، ومعنى (صلاة الجماعة). فإعمار الأرض يكون بعبادة الله سبحانه وتعالى، وهي أعظم النعم، مع التذكير بأن الشكر هو قيد النعم، فإن ذهب الشكر طارت النعم، وذلك ما حل بأولئك الماضين الذين عمروا الأرض عمارة حسية فقط من غير العمارة المعنوية... إن عمارة الأرض تكون التزاماً عملياً بقوله تعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[٣٧٧] الآية. ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾[٣٧٨] الآية. وفي الحديث: ﴿الخلقُ عيالُ اللهِ فأحبُّهم إلى اللهِ أنفعُهم لعيالِهِ﴾[٣٧٩]. نسأل الله أن يجعل الأرواح متآلفة.

---

[٣٧٧] سورة الشورى: ١٣.
[٣٧٨] سورة البقرة: ٨٣.
[٣٧٩] مجمع الزوائد، للهيثمي، ١٩٤/٨.

الطبيعة البشرية

إن الطبيعة البشرية هي الطبيعة البشرية مهما اختلفت الوسائل في التنفيس عن الغرائز، فالشذوذ الجنسي الموجود الآن مع المدنية الغربية المتقدمة جداً، كان موجوداً بطريقة غير عادية في ديار لوط في قرى المؤتفكة، وهي قرى في صحراء الأردن، وللكبرياء إلى حد الجبروت الذي نأخذه الآن على قادة الحضارة الغربية، وهي حضارة لم تر حرجاً في إهلاك مليون شخص في اليابان بالقنبلة الذرية في حرب إبادة لا تخضع لأي مقياس خلقي من أجل الانتصار... هذا الكبرياء وهؤلاء الجبابرة وجدت نماذج لهم أيضاً في قوم عاد وقوم ثمود. أما حِرص الإنسان على جشعه وأنانيته فإنه كان موجوداً أيضاً في قوم شعيب.

أمامنا قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[٣٨٠].

إن الأمة الوسط هي خير أمة أخرجت للناس، إنها أمة الإسلام، أمة القيادة يوم كان القرآن ينزل وأصحاب محمد ﷺ يعملون، وهو يأمر وهم يطيعون، وهو يخطط للفرد والمجتمع والدولة، وهم ينفذون.

---

[٣٨٠] سورة البقرة: ١٤٣.

إننا نريد أن نعلم الناس الإسلام كله، فإذا كان الإسلام سبعين شعبة أو أكثر فحري بنا أن نبدأ بالأهم فالمهم، ونأخذ الناس بطريق التدرج، كما فعل القرآن الكريم وهو يعرض تعاليمه على الناس، والتدرج سنة قرآنية لها أبعاد تربوية لا بد من إدراكها ليمكن تبليغ دعوة وإقامة حضارة...

ـ إن تحريم الخمر جاء بعد غزوة أحد بسنتين تقريباً؛ أي: أن أناساً ممن استشهدوا في أحُد، فارقوا الحياة وفي بطونهم خمور... فما نقص هذا من إيمانهم ولا ضاع ثوابهم عند الله، ذلك بأن الإسلام عندما عرض أخذوا بجملة ما عرض منه ، وما بقي لم يكلفوا به؛ لأنه لم يطلب منهم.

ـ إن الربا نفسَه لم يحرّم إلا في حجة الوداع تقريباً؛ لأن آيات البقرة من آخر ما نزل من القرآن الكريم. وألحق بموضوع الربا موضوع الزكاة في سورة البقرة وكان أول ما نزل في سورة الروم: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ ۖ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾[٣٨١]. ثم نجد كلاماً عن الربا في سورة النساء يتحدث عن أهل الكتاب: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا، وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا " [٣٨٢]. ثم نجد ما

---

[٣٨١] سورة الروم: ٣٩.
[٣٨٢] سورة النساء: ١٦٢،١٦٠.

نزل في سورة آل عمران: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٣٨٣]. ثم نجد بعد ذلك ما نزل في سورة البقرة وكان حاسماً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٣٨٤].

ولعلنا نلمح أبعاداً لسنة التدرج في أركان الإسلام، بعد الإقرار بالتوحيد.

لقد ذكر رسول الله ﷺ: «فإن استجابوا» غيرَ مرة، عندما أرسل معاذ بن جبل إلى اليمن، وبذلك علمه ﷺ كيف يكون الانتقال من ركن إلى آخر.

إن هذا التدرج أشبه بترتيب في تقديم الأدوية، ولا بد منها جملة...

حتى الإقرار بالتوحيد نرى فيه سنة التدرج التربوي والتعليمي، مع أهمية الاحتفاظ بالقضايا الجوهرية، فإن سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ عندما أراد أن يعلم عبَدة الكواكب أن الله واحد، تدرج معهم في أن تمثل الألوهية في النجم ثم أبطلها، وتمثلها في القمر ثم أبطلها، وتمثلها في الشمس ثم أبطلها، ثم انتهى إلى أن خالق هؤلاء جميعاً الله سبحانه وتعالى.

والقرآن الكريم نفسُه يلمح فيه هذا التدرج التربوي والتعليمي لتربية الناس وتقبلهم كما رأينا في قضيتي الخمر والربا.

---

[٣٨٣] سورة آل عمران: ١٣٠.

[٣٨٤] سورة البقرة: ٢٧٨.

خير مفسر للقرآن هو القرآن نفسه

قال تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾[٣٨٥] وضيف إبراهيم هم الملائكة، قال الله تعالى في سورة هود: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾[٣٨٦]. وقد كان إبراهيم ـ عليه السلام ـ خائفاً منهم، قال تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾[٣٨٧]. والوجل: الخوف، وسبب خوف إبراهيم هو عدم أكلهم. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾[٣٨٨] الآية. لكن هؤلاء الضيوف ـ وهم الملائكة بشروا إبراهيم بغلام عليم؛ أي معلوم الاسم وهو إسحاق، كما بشروه باسم الغلام الذي سيخلفه هذا المولود في المستقبل وهو يعقوب بن إسحاق. وفي سورة الحِجر قال تعالى: ﴿لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾[٣٨٩]. وفي سورة هود قال سبحانه: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَاقَ

---

[٣٨٥] سورة الحجر :٥١.
[٣٨٦] سورة هود: ٦٩.
[٣٨٧] سورة الحجر: ٥٢.
[٣٨٨] سورة هود: ٧٠.
[٣٨٩] سورة الحجر: ٥٣.

يَعْقُوبَ ۞ قَالَتْ يا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِ شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾[٣٩٠].

يؤخذ من قصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ مع ضيفه هؤلاء أمور:

من آداب الضيافة:

- منها تعجيل القِرى؛ أي الضيافة: «فما لبث أن جاء بعجل حنيذ».

ـ ومنها كون الضيافة من أحسن ما عند المضيف؛ لأنهم ذكروا أن الذي عنده البقر وأطيبه لحماً: الفتي السمين. ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾[٣٩١].

ـ ومنها ملاطفة الضيف بالكلام في غاية الرفق، كقوله تعالى في سورة الذاريات: ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾[٣٩٢] و«ألا» هنا أداة عرض.

ومعنى الحنيذ: المنضج بالنار.

---

[٣٩٠] سورة هود: ٧١، ٧٢.
[٣٩١] سورة الذاريات: ٢٦.
[٣٩٢] سورة الذاريات: ٢٦.

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[٣٩٣]

كلمة (شيء) نكرة، سبقت بنفي (إن) فأفادت الشمول والعموم، قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[٣٩٤] ولفظة «كل» إذا أضيفت إلى نكرة كان معناها: استغراق أفراد المنكر. وهكذا فإن التسبيح يشمل السماوات والأرض والملائكة والإنس والجن والطير والحيوان والنبات والشجر والمدر وكل مخلوق لله تعالى. وقد جاء في القرآن والسنة المطهرة إثبات تسبيح الجميع، كل على حدة.

أولاً: تسبيح الله تعالى نفسه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾[٣٩٥]، ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾[٣٩٦]، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٣٩٧].

ثانياً: تسبيح الملائكة:﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[٣٩٨]، وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ

---

[٣٩٣] سورة الإسراء: ٤٤.
[٣٩٤] سورة الزمر: ٦٢.
[٣٩٥] سورة الإسراء: ١.
[٣٩٦] سورة الروم: ١٧.
[٣٩٧] سورة الأنبياء: ٢٢.
[٣٩٨] سورة البقرة: ٣٠.

يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾[٣٩٩]، وقوله﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[٤٠٠].

ثالثاً: تسبيح الرعد: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾[٤٠١].

رابعاً: تسبيح السموات والأرض: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ﴾[٤٠٢].

خامساً: تسبيح الجبال: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ﴾[٤٠٣].

سادساً: تسبيح الطير: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾[٤٠٤].

سابعاً: تسبيح الإنسان: : ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾[٤٠٥]، ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾[٤٠٦].

قال حبر الأمة في التفسير ابن عباس رضي الله عنهما: إن العموم باق على عمومه، وإن لفظ التسبيح محمول على حقيقته في التنزيه والتحميد.

وهذا صحيح لصريح قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[٤٠٧].

---

[٣٩٩] سورة الزمر: ٧٥.
[٤٠٠] سورة الأنبياء: ٢٠.
[٤٠١] سورة الرعد: ١٣.
[٤٠٢] سورة الإسراء: ٤٤.
[٤٠٣] سورة ص: ١٨.
[٤٠٤] سورة الأنبياء: ٧٩.
[٤٠٥] سورةالحجر: ٩٨.
[٤٠٦] سورة الواقعة: ٩٦.
[٤٠٧] سورة الإسراء: ٤٤.

إهداء ثواب قراءة القرآن إلى الأموات

أخرج أبو القاسم الزنجاني في فوائده، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿من دخل المقابر ثم قرأ فاتحة الكتاب، وقل هو الله أحد، وألهاكم التكاثر، ثم قال: إني جعلت ثواب ما قرأت من كلامك لأهل المقابر من المؤمنين والمؤمنات كانوا شفعاء له إلى الله تعالى﴾[٤٠٨].

إن جمهور السلف والأئمة الثلاثة: مالكاً وأبا حنيفة وابن حنبل، على وصول ثواب القراءة للميت. وقال النووي رحمه الله في شرح المهذب: يستحب لزائر القبور أن يقرأ ما تيسر من القرآن ويدعو لهم عقبها. نص عليه الشافعي واتفق عليه الأصحاب، وزاد في موضع آخر: وإن ختموا القرآن على القبر كان أفضل.

قال ابن تيمية، رحمه الله تعالى: «من اعتقد أن الإنسان لا ينتفع إلا بعمله فقد خرق الإجماع، وذلك باطل من وجوه كثيرة»[٤٠٩].

أحدها أن الإنسان ينتفع بدعاء غيره، وهو انتفاع بعمل الغير.

ثانيها: أن النبي ﷺ يشفع لأهل الموقف في الحساب، ثم لأهل الجنة في دخولها، ثم لأهل الكبائر في الخروج من النار، وهذا انتفاع بعمل الغير.

---

٤٠٨ الفقه، محمد بن عبد الوهاب، القسم الثاني، كتاب تمني الموت، صفحة ٧٥.

٤٠٩ مجموع ثلاث رسائل، للتباني، ص٤٣، مطبعة صبيح بالأزهر، سنة ١٩٨٠م.

ثالثها: أن كل نبي وصالح له شفاعة، وذلك انتفاع بعمل الغير.
رابعها: أن الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الأرض، وذلك انتفاع بعمل الغير.
خامسها: أن الله تعالى يُخرج من النار من لم يعمل خيراً قط، بمحض رحمته، وهذا انتفاع بغير عملهم.

سادسها: أن أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم. وذلك انتفاع بمحض عمل الغير.

سابعها: قال تعالى في قصة الغلامين اليتيمين: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾[٤١٠] فانتفعا بصلاح أبيهما، وليس هو من سعيهما.
ثامنها: أن الميت ينتفع بالصدقة عنه، وذلك بنص السنة والإجماع. وهو من عمل الغير.
تاسعها: أن الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه، بنص السنة، وهو انتفاع بعمل الغير.
عاشرها: أن الحج المنذور أو الصوم المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره، بنص السنة، وهو انتفاع بعمل الغير.
حادي عشرها: أن المدين الذي امتنع النبي ﷺ من الصلاة عليه حتى قضى دينه أبو قتادة، وقضى دين الآخر علي بن أبي طالب، وانتفع بصلاة النبي، ﷺ، بقضاء دينه وهو من عمل الغير.

---

[٤١٠] سورة الكهف: ٨٢.

ثاني عشرها: أن النبي ﷺ قال لمن صلى وحدَه: ألا رجل يتصدق على هذا فيصليَ معه، فقد حصل له فضل الجماعة بعمل الغير.

ثالث عشرها: أن الإنسان تبرأ ذمته من ديون الناس إذا قضاها قاضٍ عنه. وذلك انتفاع بعمل الغير.

رابع عشرها: أن مَن عليه مظالم، إذا حلل منها، سقطت عنه. وهذا انتفاع بعمل الغير.

خامس عشرها: أن الجار الصالح ينفع في المحيا وفي الممات - كما جاء في الأثر - وهذا انتفاع بعمل الغير.

سادس عشرها: أن جليس أهل الذكر يُرحم بهم، وهو لم يكن منهم ولم يجلس لذلك بل لحاجة عرضت له، والأعمال بالنيات، قد انتفع بعمل غيره.

سابع عشرها: الصلاة على الميت، والدعاء له في الصلاة انتفاع للميت بصلاة الحي عليه، وهو عمل غيره.

ثامن عشرها: أن الجمعة تحصل باجتماع العدد، وكذلك الجماعة بكثرة العدد وهو انتفاع البعض بالبعض.

تاسع عشرها: أن الله سبحانه قال لنبيه ﷺ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾[٤١١]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْلا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ﴾[٤١٢]. وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾[٤١٣]

---

[٤١١] سورة الأنفال: ٣٣.
[٤١٢] سورة الفتح: ٢٥.
[٤١٣] سورة الحج: ٤٠.

فقد دفع الله العذاب عن بعض الناس بسبب بعض، وذلك انتفاع بعمل الغير. (انتهى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، يرحمه الله).

أما ابن القيم فله كتاب «الروح»، وقد قال فيه: «وقد ذكر عن جماعة من السلف أنهم أوصوا أن يُقرأ عند قبورهم وقت الدفن. قال عبد الحق: يُروى أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أوصى أن يُقرأ عند قبره سورة البقرة. وممن رأى ذلك علي بن عبد الرحمن. وكان الإمام أحمد بن حنبل ينكر ذلك أولاً، حيث لم يبلغه فيه أثر، ثم رجع.[٤١٤].

وقد عزا ابن القيم وصول ثواب العبادات البدنية للميت، كالصلاة والصوم وقراءة القرآن والذكر للإمام أحمد وجمهور السلف، كما عزا القول بعدم الوصول إلى أهل البدع من علماء الكلام[٤١٥].

وفي الجواب عن قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[٤١٦] قال: وقالت طائفة أخرى: القرآن لم ينف انتفاع الرجل بسعي غيره، وإنما نفى ملكه لغير سعيه. وبين الأمرين فرق لا يخفى، فقد يسكنك صديقك في داره بلا أجر فتنتفع بما ليس لك. فإن ادعيت ملكيتها وأنها لك فهذا كذب وخطأ. وبهذا يتضح أن انتفاعك بما لا تملك قد يصح، بخلاف دعوى الملكية في غير سعيك فإنه لا يصح. ولم يصب فهم الآية من خلط بين الأمرين[٤١٧].

---

[٤١٤] الروح، لابن القيم، الصفحة ط٢، حيدر أباد، ص١٢.
[٤١٥] المصدر السابق ص١٨٨.
[٤١٦] سورة النجم: ٣٩.
[٤١٧] الروح، لابن القيم، ص٢٠٥.

نعم. لقد أخبر تعالى أن الإنسان لا يملك إلا سعيه، وأما سعي غيره فهو ملك لساعيه، فإن شاء أن يبذله لغيره، وإن شاء أبقاه لنفسه، وهو سبحانه لم يقل: لم ينتفع إلا بما سعى.

ثم قال ابن القيم: «وكان شيخنا ابن تيمية يختار هذه الطريقة ويرجحها. وذكر كلاماً رائعاً: «والقائل إن أحداً من السلف لم يفعل ذلك قائل ما لا علم له به، فإن هذه شهادة على نفي ما لم يعلمه. وما يدريك أن السلف كانوا يفعلون ذلك ولا يشهدون من حضرهم عليه؟ بل يكفي اطلاع علام الغيوب على نياتهم ومقاصدهم، ولا سيما أن التلفظ بنية الإهداء لا يشترط ـ كما هو معروف ـ وسر المسألة أن الثواب ملك للعامل، فإذا تبرع به وأهداه لأخيه المسلم أوصله الله إليه، فما الذي خص من هذا ثواب قراءة القرآن وحجر على العبد أن يوصله إلى أخيه، وهذا عمل الناس حتى المنكرين في سائر الأعصار والأمصار من غير نكير من العلماء»[٤١٨].

فيُفهم من كلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وصول ثواب الإهداء إلى جميع الموتى. غير أن الشيخ محمد ناصر الدين الألباني قال بوصول ثواب الإهداء للوالدين؛ لأن الولد من سعيهما. قال: «وخلاصة ذلك أن للولد أن يتصدق ويصوم ويحج ويعتمر ويقرأ القرآن عن والديه؛ لأنه من سعيهما، وليس له ذلك من غيرهما، والله أعلم»[٤١٩].

---

[٤١٨] المصدر الساق، ص٢٠٦.

[٤١٩] سلسلة الأحاديث الصحيحة، المجلد١، ص٧٩٠.

البدعـــــة

«البدعة التي يعد بها الرجل من أهل الأهواء ما اشتهر به عند العلماء بالسنة مخالفتها للكتاب والسنة»[٤٢٠]. أما الأمر المحدث في الدين، الذي يتفق مع مقاصد الدين وأهدافه، فإنه ليس ببدعة. لقد قالت السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ لأسماء: إني قد استقبحت ما يُصنع بالنساء (تعني عند موتهن)، فذكرت أسماء لها أنها رأت في أرض الحبشة أنه يصنع للمرأة مثل هودج العروس تُغسل فيه، فقالت فاطمة رضي الله عنها: إذا أنا مت فاصنعي لي ذلك ولا تدخلي عليّ أحداً. فلما ماتت فعلت لها ذلك، فأتت عائشة تستأذن بالدخول على فاطمة فمنعتها أسماء. ولما استفسر أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن سبب المنع أخبرته أسماء أنه أمر فاطمة، فقال: «اصنعي ما أمرتك به»[٤٢١].

إن كل حكم مستحدث بعد الرسول ﷺ لم تشهد له أدلة الشرع وقواعده العامة فهو مردود على صاحبه[٤٢٢]، ولهذا فإن أبي بن كعب قد صلى صلاة التراويح عشرين ركعة ولم ينهه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بل استحسن ذلك، ولا سيما الجماعة الواحدة، وقال: «نعمت البدعة هذه»، وكلنا يعلم بأن النبي ﷺ كان صلاها ثماني ركعات، وأن الناس قد صلوها

---

[٤٢٠] فتاوي ابن تيمية، ج٣٠، ص٤١٤.
[٤٢١] سنن البهيقي ج٤، ص٣٥.
[٤٢٢] الغلو في الدين، لعبد الرحمن اللويحق، ص٣٧٨.

في زمانه فرادى وجماعات متفرقة[٤٢٣].

إن البدعة إن كانت تتفق مع مقاصد الدين وأهدافه فهي ليست ببدعة، فإن التعريف في المساجد عن يوم عرفة لم يكن على عهد النبي ﷺ، وأول من فعله كان ابن عباس وعمر بن حريث[٤٢٤].

وقد زاد عثمان بن عفان رضي الله عنه أذاناً يسبق الأذان الذي بين يدي الخطيب، بسبب اتساع رقعة المدينة المنورة، وكان ذلك سنة ثلاثين للهجرة، وكان المؤذن يرفعه على دار عثمان في الزوراء، يبلغ به الأسواق، وبذلك أصبح لصلاة الجمعة أذانان وإقامة[٤٢٥].

ولقد كان لعثمان بن عفان أربعة مؤذنين[٤٢٦]، فعن موسى بن طلحة قال: رأيت عثمان جالساً على المنبر يوم الجمعة، والمؤذنون يؤذنون، وهو يسأل الناس عن أسعارهم وأخبارهم[٤٢٧].

أما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإنه أمر الناس بالقيام في رمضان، فجعل للرجال إماماً هو عبد الرحمن بن أبي ليلى، وللنساء إماماً هو عرجفة[٤٢٨]. غير أن علياً رضي الله عنه كره كل ما فيه تشبُّهٌ بالكفار في الصلاة، ومن ذلك قراءة الإمام في المصحف في الصلاة، كما يفعل النصارى، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: «نهانا أمير المؤمنين أن نؤم

---

٤٢٣ موسوعة فقه عمر، لمحمد رواس قلعة جي، ص١٦١.
٤٢٤ موسوعة فقه ابن عباس، لمحمد رواس قلعة جي، ج١، ص٢٢٥.
٤٢٥ موسوعة فقه عثمان، لمحمد رواس قلعة جي، ص٢٩.
٤٢٦ المغني، لابن قدامة، ج١، ص٤٢٩.
٤٢٧ مصنف عبد الرزاق، ج٣، ص٢١٥.
٤٢٨ مصنف عبد الرزاق ج٣، ص١٥٢ وج٤، ص٢٥٨. وسنن البيهقي، ج٢، ص٤٩٤.

الناس في المصاحف»[٤٢٩].

إننا إذا أنعمنا النظر الآن في حديث رسول الله ﷺ: ﴿من أحدَث في أمرِنا - أو دينِنا – هذا ما ليس فيه فهو رَدٌّ﴾[٤٣٠]، فهمنا المردود في المحدثة التي ليست من الدين في شيء، وأما إذا كانت من الدين، بمعنى أنها محققة لأهداف الشريعة، وكانت من عمل الصحابة والتابعين، فإنها ليست ببدعة.

ولننظر الآن إلى حديث المصطفى ﷺ: ﴿عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين من بعدي ...﴾[٤٣١]، فإن معناه «الزموا سنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي»، ولم يقل بسنتي فقط.

لقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ينهى عن القراءة خلف الإمام[٤٣٢].

وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه ينهى عن القراءة خلف الإمام[٤٣٣].

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: من قرأ خلف الإمام فلا صلاة له[٤٣٤].

وكان يقول: «وددت أن الذي يقرأ خلف الإمام في فيه حجر»[٤٣٥].

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرى أن يقرأ أهل المحتضر القرآن

---

٤٢٩ المغني، لابن قدامة، ج١، ص٥٧٥.
٤٣٠ تقدم تخريجه برقم ١١٦.
٤٣١ تقدم تخريجه برقم ١١٣.
٤٣٢ مصنف عبد الرزاق، ج٢، ص١٣٩.
٤٣٣ موسوعة فقه عثمان، لمحمد رواس قلعة جي، ص٢٣٩.
٤٣٤ مصنف عبد الرزاق، ج٢، ص١٣٨.
٤٣٥ الأم، للشافعي، ج٧، ص١٦٥.

عنده، وكان يقول: «احضروا موتاكم، وألزموهم لا إله إلا الله، وأغمضوا أعينهم، واقرؤوا عندهم القرآن»[٤٣٦].

وكان عمر يجيز هبة المسلم للكافر، فقد كسا، رضي الله عنه، أخاً له مشركاً بمكة حلة كان الرسول ﷺ أهداها إليه[٤٣٧]. وقد أكل عمر لحم الجزور ثم قام فصلى ولم يتوضأ، وقد كان لا يرى الوضوء مما مسته النار[٤٣٨]. وكان عثمان رضي الله عنه يكتفى بمسح جزء من رأسه، وهو مقدم الرأس[٤٣٩]. وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه لا يرى بأساً أن يحج رجل عن رجل ولم يحُجّ عن نفسه[٤٤٠]. وكان يرى أن الحائض في حال جنابة، لذلك يحرم عليها مس المصحف وحمله، وقراءة القرآن والمكث في المسجد[٤٤١]. وكان يقنت في النصف الأخير من رمضان، ما يدل على أنه كان يقنت من غير أن تكون هناك نوازل تستدعي القنوت[٤٤٢]. وكان رضي الله عنه يصلي التراويح عشرين ركعة، ويأمر بذلك، يسلم في كل ركعتين، ويراوح بين كل أربع ركعات[٤٤٣].

وكان يقول: «صلوا ما استطعتم، فإن الله لا يعذب على الصلاة»[٤٤٤].

---

٤٣٦ مصنف عبد الرزاق، ج٣، ص٣٨٦.
٤٣٧ سنن البهيقي، ج٣، ص٢٤١.
٤٣٨ موسوعة فقه عمر، لمحمد رواس قلعة جي، ص٨٧٥.
٤٣٩ المغني، لابن قدامة، ج١، ص١٢٥.
٤٤٠ موسوعة فقه علي بن أبي طالب، لمحمد رواس قلعة جي، ص ٢٠٤.
٤٤١ المصدر السابق، ص٢٣٩.
٤٤٢ المصدر نفسه، ص٣٨٨.
٤٤٣ المصدر نفسه، ص٤١٠.
٤٤٤ مصنف عبد الرزاق، ج٣، ص٧٨.

وأما في مسألة إسلام الزوجة دون زوجها، فقد كان علي، رضي الله عنه، يقول: «إذا أسلمت الزوجة دون زوجها فهو أحق بها ما لم يخرجها من مِصرها»[٤٤٥]. أما على زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فإنه أسلمت امرأة من أهل الحيرة ولم يسلم زوجها، فكتب عمر أن خيروها فإن شاءت فارقته، وإن شاءت قرت عنده[٤٤٦].

ولقد كان ابن عباس رضي الله عنهما يلتزم قراءة البسملة مع الفاتحة، وكان يندد بمن يتركها ويقول: «إن الشيطان استرق من أهل القرآن أعظم آية القرآن: بسم الله الرحمن الرحيم»[٤٤٧].

وكان ابن عباس يرى أن تحية المسجد سنة، على حين الاستماع إلى الخطبة واجب، ولهذا يرى الاستماع إلى الخطبة[٤٤٨]، لأنه كان يكره الصلاة بعد خروج الإمام إلى المنبر[٤٤٩]. وكان رضي الله عنه يرى استحباب رفع الأيدي في الدعاء[٤٥٠]؛ لأن الله يستحيي أن يردها صفراً.

وكان يرى ليلة القدر هي ليلة السابع والعشرين من رمضان[٤٥١]، وقدأورد الإمام عبد الرزاق الصنعاني محاورة جرت بين عمر بن الخطاب

---

٤٤٥ المحلى بالآثار، لابن حزم، ج٧، ص٧١٣. والأم، للشافعي، ج٧، ص١٧١. ومصنف ابن أبي شيبة ج١، ص٢٤٢. ومصنف عبد الرزاق ج٧، ص٢٧٥.

٤٤٦ المحلى بالآثار، ج٧، ص٣١٣.

٤٤٧ سنن البهيقي، ج٢، ص٤٤. وتفسير ابن كثيرج٢، ص٥٥٧.

٤٤٨ موسوعة فقه ابن عباس، لمحمد رواس قلعة جي، ج١، ص٢٢٩.

٤٤٩ المصدر السابق، ج٢ ص١٢٣.

٤٥٠ المصدر نفسه، ج١، ص٤٥٨.

٤٥١ المغني، لابن قدامة، ج٣، ص١٨٠.

وعبد الله بن عباس في ذلك، فقال: دعا عمر بن الخطاب أصحاب رسول الله ﷺ، فسألهم عن ليلة القدر؟ فقلت: سابعة تمضي، أو سابعة تبقى من العشر الأواخر. فقال عمر: ومن أين علمت ذلك؟ فقال خلق الله سبع سماوات، وسبع أرضين، وسبعة أيام، وإن الدهر يدور في سبع، والطواف بالبيت في سبع، ورمي الجمار سبع... الأشياء ذكرها، فقال عمر: لقد فطنت لأمر ما فطنا له [٤٥٢].

«إن جميع الباحثين القدامى إذا ذكروا الحديث وروايته وعددوا المكثرين في رواية الحديث جعلوا على رأسهم الخلفاء الراشدين الأربعة، وإذا ما ذكروا الفقه ذكروا على رأس الفقهاء من صحابة رسول الله ﷺ الخلفاء الراشدين الأربعة، وإذا ما ذكروا المفتين من صحابة رسول الله ﷺ ذكروا على رأسهم الخلفاء الراشدين الأربعة»[٤٥٣].

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا يمنع أحداً منكم حداثة سنة أن يشير برأيه، فإن العلم ليس على حداثة السن ولا قِدَمِه، ولكن الله يصنعه حيث شاء»[٤٥٤].

وأختم مقالتي هذه بنصين اثنين:

ـ الأول: من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «وأخرج سعد الزنجاني عن أبي هريرة مرفوعاً: «من دخل المقابر ثم قرأ فاتحة الكتاب،

---

[٤٥٢] موسوعة فقه ابن عباس، لمحمد رواس قلعة جي، ج٢، ص٣٤٤.
[٤٥٣] موسوعة فقه عثمان، لمحمد رواس قلعة جي، ص٧.
[٤٥٤] صحيح البخاري، ج٩، ص١٣٨.

وقل هو الله أحد ، وألهاكم التكاثر، ثم قال: إني جعلت ثواب ما قرأت من كلامك لأهل المقابر من المؤمنين والمؤمنات، كانوا شفعاء له إلى الله تعالى﴾. وأخرج عبد العزيز صاحب الخلال بسنده عن أنس مرفوعاً: ﴿من دخل المقابر، فقرأ سورة ياسين، خفف الله عنهم، وكان له بعدد من فيها حسنات﴾[٤٥٥]

والآخـــــر: من مؤلفات الشيخ الألباني: «وخلاصة ذلك أن للولد أن يتصدق ويصوم ويحج ويعتمر ويقرأ عن والديه؛ لأنه من سعيهما، وليس له ذلك من غيرهما[٤٥٦]. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

---

[٤٥٥] الفقه، محمد بن عبد الوهاب، تحقيق عبد الرحمن السدحان، وعبد الله الجبرين، القسم الثاني المجلد الثاني، كتاب تمني الموت، ص٧٥.

[٤٥٦] سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني، المجلد الأول، ص٧٩٥.

المذاهب الفقهية نعمة وثروة

مَن قَصَرَ فقه الإسلام على القرآن وحده، فقد مسخ الإسلام من جذوره، وكان أقرب لأعداء الدين، ومن حصر الفقه بسنة رسول الله ﷺ دون سنة الخلفاء الراشدين فقد قصّر وأساء، وعاش قاصر الطرف عن شؤون الحياة، وبعُد عن التفاعل أو التجاوب مع متطلبات الناس وتحقيق مصالحهم، فحيثما وُجدت المصلحة فثَمّ شرع الله ودينه.

إن زعماء مدرسة الحديث (مالك والشافعي وأحمد) أخذوا بالمصالح المرسلة، والعُرف والعادة، وسد الذرائع، وغيرها من أدلة الاجتهاد بالرأي، حتى أهل مدرسة الرأي كالنخعي وربيعة الرأي وأبي حنيفة وأصحابه لم يهملوا بَتةً سنة أو أثراً أو اجتهاداً عن السلف.

وتقليد المذهب جائز، والاجتهاد جائز للقادر على الاجتهاد، وهذا القادر على الاجتهاد يجوز له التقليد حيث عجَز عن الاجتهاد، إما لتكافؤ الأدلة، وإما لضيق الوقت عن الاجتهاد، وإما لعدم ظهور دليل له، فإنه حيث عجز سقط عنه وجوب ما عجز عنه، وانتقل إلى بدله وهو التقليد.

والنزاع في الأحكام قد يكون رحمة، وإجماع العلماء حجة قاطعة، واختلافهم رحمة واسعة، ولا إنكار في مسألة الاجتهاد، فإن دين الله يسرٌ لا عسر﴿يُرِيدُ الله بِكُمُ اليسر وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ العسر﴾[٤٥٧]، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ

[٤٥٧] سورة البقرة: ١٨٥.

فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٤٥٨]، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾[٤٥٩]. إن الفتوى على المذهب الواحد؛ سداً للذريعة إلى العبث بالدين خير لعصرنا وزماننا، ولهذا فإن المرحوم مفتي السعودية السابق الشيخ محمد بن إبراهيم كان قد ألزم جميع العلماء في أنحاء المملكة بالفتوى على المذهب الحنبلي[٤٦٠].

لقد استرعت انتباهي المقالة التي نشرتها جريدة الشرق الأوسط عن صنيع عميد كلية القانون بجامعة هارفرد بأمريكا البروفيسور «روبرت كلارك»، حيث أشاد بالهبة التي قدمها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ـ رحمه الله تعالى ـ من أجل إقامة كرسي الدراسات الإسلامية. وقد بدأ القسم نشاطه منذ حزيران (يونيو) سنة ١٩٩٣م، وفي القسم تسعون طالباً، قسموا على مذاهب الفقه الأربعة: الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي[٤٦١].

إن ما يشجع على مثل هذا الرأي هو حديث سماحة مفتي المملكة العربية السعودية الشيخ ابن باز ـ رحمه الله ـ مع مجلة الراية السودانية[٤٦٢]، حيث أجاب عن هذا السؤال: هل لسماحتكم مذهبٌ فقهي خاص؟ وما منهجكم في الفتوى والأدلة؟ فقال: «مذهبي في الفقه هو مذهب الإمام أحمد بن حنبل،

---

[٤٥٨] سورة الحج: ٧٨.
[٤٥٩] سورة النساء: ٢٨.
[٤٦٠] الثوابث والمتغيرات، صلاح الصاوي، ص٤٩.
[٤٦١] العدد ٥٥٢٢ الإثنين ٢٨ رجب ١٤١٤، المصادف ١٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٩٤م.
[٤٦٢] نشرته مجلة الرابطة في العدد ٢٨٤ في شهر ربيع الأول ١٤٠٩هـ.

رحمه الله، في الأصول التي سار عليها. أما في المسائل الخلافية فمنهجي فيها هو ترجيح ما يقضي الدليل ترجيحه، والفتوى بذلك، سواء أوافق مذهب الحنابلة أم خالفه...»

إن المذاهب الفقهية نعمة وثروة تشريعية تجعل الأمة الإسلامية في سَعة من أمر دينها وشريعتها، فلا تنحصر في تطبيق شرعي واحد لا مناص له منه إلى غيره، بل إذا ضاق بالأمة مذهب أحد الأئمة الفقهاء في وقت ما، أو في أمر ما، رأينا في المذاهب الأخرى سعة ورفقاً ويسراً، سواء أكان ذلك في شؤون العبادة أم في المعاملات وشؤون الأسرة والقضاء والجنايات، في ضوء الأدلة الشرعية.

فالاختلاف الفقهي ليس نقيصة ولا تناقضاً في ديننا، فإننا إذا ألقينا نظرة سريعة إلى فقه الخلفاء الراشدين وجدنا سنة الاختلاف الفقهي حاصلة، وفي ذلك توسعة للأمة ورحمة بها، وهذه ميزة جديرة بأن تتباهى بها الأمة الإسلامية، فمثلاً: الطلاق بلفظ واحد يقع مرة واحدة عند أبي بكر، في حين أوقعه عمر وعثمان وعلي ثلاثاً، وكان النبي ﷺ أجازه لفاطمة بنت قيس.

سئل الحسن البصري عن صوم يوم عرفة، فقال: صامه عثمان بن عفان في يوم حار يظلل عليه. وعثمان كان يرى قصر الصلاة في السفر جائزاً لا واجباً، ولقد اختار القصر في صدر خلافته، ثم اختار الإتمام في آخر حياته، وهو مذهب أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها. وكان عثمان رضي الله عنه إذا أنهى صلاته يسلم تسليمة واحدة عن يمينه، ورخص

عثمان أن يرفع القبر عن الأرض شيئاً يسيراً، وقد اشترى عثمان موضع قبره، وأوصى أن يدفن فيه، وكان رضي الله عنه يفضل المشي أمام الجنازة. أما ابن عباس، رضي الله عنهما، فقد كره الصلاة والإمام يخطب، وقال: تحية المسجد سنة، على حين الاستماع إلى الخطبة واجب، وعنده يجوز للحائض والنفساء قراءة القرآن، ولم يكره اتباع النساء الجنائز؛ وقال: لأن رسول الله ﷺ نهانا، ولم يعزم علينا.

للمناسبة، هذا الذي أوردناه أكثره من الموسوعات الفقهية من عمل الدكتور محمد رواس قلعة جي، بإشراف جامعة أم القرى بمكة المكرمة، وإني أدعوكم إلى قراءة هذه الموسوعات الفقهية، وإنعام النظر فيها، وعندما ستنتهون من قراءتها ستصلون إلى ما وصلت إليه.

أليس الذي يقلد الإمام مالك في التسليمة الواحدة على اليمين عند الانتهاء من الصلاة، يجد أن مالكاً قد أخذ من سنة عثمان بن عفان رضي الله عنه؟ ألم يقل رسول الله ﷺ ﴿عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين من بعدي﴾[٤٦٣]؟ أليس الذي يقلد الإمام أبي حنيفة ولا يقرأ خلف الإمام يكون قد أخذ من سنة أبي بكر وعلي؟ ألم يقل رسول الله ﷺ: ﴿من كانَ له إمامٌ فقراءةُ الإمامِ لهُ قراءةٌ﴾[٤٦٤]؟ أليس الذي يقلد الإمام الشافعي في الاكتفاء بمسح جزء من رأسه، وهو مقدم رأسه، يكون قد أخذ من سنة عثمان؟

مر بنا أن عثمان رضي الله عنه أحدث أذاناً يسبق الأذان الذي بين يدي

---

[٤٦٣] تقدم تخريجه برقم ١١٣.

[٤٦٤] سنن ابن ماجه، ٨٥٠.

الخطيب؛ بسبب اتساع رقعة المدينة المنورة، فهل كان لصلاة الجمعة أذانان وإقامة على زمن رسول الله ﷺ وعلى عهد أبي بكر وعمر؟

لقد أحدث عثمان في الدين أمراً يتفق مع مقاصد الدين وأهدافه، والحديث واضح ﴿من أحدَث في أمرِنا – أو دينِنا – هذا ما ليس فيه فهو رَدٌّ﴾[٤٦٥].

ألم يستحسن عمر بن الخطاب صلاة التراويح عشرين ركعة، في حين صلاها النبي ﷺ ثماني ركعات؟

ألم يقنت علي بن أبي طالب في النصف الأخير من رمضان من غير أن تكون هناك نوازل تستدعي القنوت؟ فهل فعل ذلك النبي ﷺ في النصف الأخير من رمضان؟ فقوله ﷺ: ﴿عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين...﴾[٤٦٦] فكلمة «عليكم» هذه ليست شبه جملة جاراً ومجروراً، بل هي اسم فعل أمر؛ أي: الزموا. فهي أمر من رسول الله ﷺ: الزموا سنتي وسنة الخلفاء. والواو في (وسنة) عاطفة لمطلق الجمع ـ كما هو معلوم - أيها الإخوة والأخوات: إننا نرى بعض الفتاوى على أسئلة جنح أصحابها للفتيا فيها والاجتهاد، ولو نظروا في اجتهاد الصحابة لكفاهم فقه الصحابة مؤونة الاجتهاد، فمثلاً أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، كان أمر ابنه عبد الله بتطليق زوجته عاتكة بنت زيد تطليقة واحدة، فأطاع الابن أباه وبرّ به، ثم رق له وأمره بمراجعة زوجته.

---

[٤٦٥] تقدم تخريجه برقم ١١٦.

[٤٦٦] تقدم تخريجه برقم ١١٣.

في الأسرة أسرار تكتنفها، وليس كل شيء يقال، ومع ذلك كله فماذا قال ابن عباس للفتى؟ قال له: ما أنا بالذي آمرك أن تطلق، ولا أن تعق والديك. ولما قال له الفتى: ماذا أصنع بهذه المرأة؟ قال ابن عباس: ابرر والديك.

قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَجَاوَزَ لِأُمَّتي عَمَّا حَدَّثَتْ به أَنْفُسَهَا، ما لَمْ تَعْمَلْ، أَوْ تَكَلَّمْ بهِ﴾ [٤٦٧]. فمن ذا الذي يقول بجواز زواج الفتاة وفي نيته تطليقها؟! هذا السؤال كانت جريدة «المسلمون» قد نشرته، وقد كثر الاجتهاد في المسألة... ولما عرض الدكتور عجيل النشمي هذه المسألة على أصحاب المذاهب ـ رحمهم الله ـ بيّن بأن ذلك حرام غير جائز، وأما فضيلة الشيخ ابن عثيمين فقد أوصى المسلمين بتقوى الله، وتساءل قائلاً: هل نرضى ذلك لابنتنا وأختنا، فأين المودة والرحمة وإنشاء الأسرة؟ فلنتق الله في أنفسنا وفي غيرنا.

إننا مطالبون بمعرفة اللغة العربية، وفهمها، واحترام قواعدها وأصولها، فقول النبي ﷺ: ﴿مَن سرَّهُ أن يتمثَّلَ لَهُ الرِّجالُ قيامًا فَليتَبوَّأ مَقعدَهُ منَ النَّارِ﴾[٤٦٨] ليس المقصود أن يقوموا لمجيئه إذا جاء، وإنما المقصود أن يقوموا له وهو قاعد، وهذا من تعظيم الأعاجم لبعضهم. هذا هو المنهي. لقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿أنا سيدُ ولدِ آدمَ﴾[٤٦٩]، وكل المؤمنين لا

---

[٤٦٧] صحيح مسلم، ١٢٧.
[٤٦٨] سنن الترمذي، برقم ٢٧٥٥.
[٤٦٩] سنن ابن ماجه، برقم ٣٤٩٦.

يشكون أدنى شك في أن محمداً ﷺ هو سيدنا وحبيبنا وخيرنا وأفضلنا، ليس عندنا بل عند الله تعالى، وعليه فسيادة محمد ﷺ، سيادة نِسبية، في حين سيادة الله تبارك وتعالى سيادة مطلقة، ومع ذلك تسمع بعضَهم إذا صلى على رسول الله، ولا سيما إذا كان خطيباً يوم الجمعة، وأمامه إخوانه من شتى البلدان، قال: اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد؟ أليس هو سيدنا وخيرنا وأفضلنا؟ بلى هو سيدنا ﷺ.

إننا مطالبون، مطالبون بقراءة فقه الصحابة رضوان الله عليهم، إننا لو طرحنا هذا السؤال - وما أكثر ما يطرح في أوربة وأمريكا! - «ما رأي الإسلام في إسلام الزوجة دون زوجها؟ لجاءنا الجواب فوراً: «يفرق بينهما، كي لا تقع في الحرام».

نعم يفرق بينهما. هذا رأي ابن عباس رضي الله عنهما، ولكن مرت بنا حالة مشابهة في عهد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، فكتب عمر أن خيّروها، فإن شاءت فارقته، وإن شاءت قرّت عنده[٤٧٠].

ومر بنا رأي علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، في المسألة، إذ يرى أنها «إن أسلمت دون زوجها فهو أحق بها ما لم يُخرجها من مِصرها»[٤٧١].

---

[٤٧٠] سبق تخريجه برقم ٤٤٥.

[٤٧١] المصدر السابق.

سؤال آخر: كيف سيكون سفر هذه المرأة التي أسلمت؟ ومن هو المُحرَم؟ لقد سئل سماحة الشيخ ابن باز عن امرأة حجت مع أناس أجانب عليها من غير محرم، فقال: «حجها صحيح، وتعد عاصية بسفرها بدون محرم، وعليها التوبة إلى الله، سبحانه وتعالى، من ذلك»[٤٧٢].

والحج مرة، فما زاد فهو تطوع: هذا جواب النبي ﷺ للأقرع بن حابس.

الإسلام يعتمد الأخوّة الإنسانية القائمة على التعارف والتآلف أساساً للتعايش بين الناس، وهو يحترم عقائد البشر على أساس ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[٤٧٣]، ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[٤٧٤]. والإسلام يقرر علاقة البر والإحسان مع الناس قاطبة، وعليه «فلا بأس أن نبدأ جيراننا النصارى السلام بسلامهم: كيف حالكم؟ صباح الخير؟ مساء الخير، ونحو ذلك»[٤٧٥].

«كما يجوز لنا مخالطتهم ومجالستهم ومؤانستهم ومصاحبتهم وإظهار المودة لهم»[٤٧٦].

كما تجوز معاملتهم، مع تعاملهم بالربا واقتحام ما حرم الله سبحانه عليهم، نعني جواز التجارة معهم، وقد سافر النبي ﷺ إليهم تاجراً، وذلك سفره أمر قاطع على جواز السفر إليهم والتجارة معهم.[٤٧٧].

الدعاء لهم بأن يهديهم الله أمرٌ، كان فعله رسول اللهﷺ، فقد كان «يدعو

---

٤٧٢ فتاوى المرأة ٢ـ٤٧.
٤٧٣ سورة البقرة: ٢٥٦.
٤٧٤ سورة الكافرون: ٦.
٤٧٥ فتوى اللجنة الدائمة، برئاسة ابن باز، رقم ١١١٢٣.
٤٧٦ فتوى ابن جبرين: فتاوى المرأة ١ـ ١٣.
٤٧٧ القرطبي ٦ /١٢ و١٣.

لبعض الكفار بأن يهديَه الله أو أن يرزقه، فيهديه أو يرزقه، كما دعا لأم أبي هريرة حتى هداها الله سبحانه وتعالى، وكما دعا لدوس فقال: ﴿اللهم اهد دوساً وائت بهم﴾[٤٧٨]، فهداهم الله. وذكرنا أنه استقى لبعض المشركين[٤٧٩]، يتألف به قلوبهم، كما كان يتألفهم بغير ذلك[٤٨٠].

كما يجوز لنا أن نشيع جنازة الكافر؛ لأن أصحاب رسول الله ﷺ شيعوا جنازة أم الحارث بن ربيعة، وكانت نصرانية، دون أن ينكر ذلك أحد منهم[٤٨١].

«إن فتح النوافذ على العالم منزع إسلامي أصيل، فالإسلام ليس دين انغلاق على الذات، ولا دين انزواء في ركن ضيق قصي، بل هو دين انفتاح واتصال وحوار مع الآخرين أنى كانوا. ونحسب أن معهد العلوم الإسلامية والعربية في أمريكا ترجمة حية لهذه المفاهيم، وموقع متقدم لتمثيل هذه المفاهيم وإنفاذها إلى نسيج الواقع الحي... إن الإسلام دين اعتدال وسماحة ورحمة وبر ووحدة، وليس دين غلو وتخويف وعنف وتضييق وفرقة وتهور وإحداث المشكلات...»[٤٨٢].

«إن إلـزام الناس بالاجتهاد لمعرفة أحكام الشريعة هو غـلـوٌّ في الدين لم يكلف الله الناس بهذا ولم يأذن به»[٤٨٣].

---

٤٧٨ سبق تخريجه برقم ٧٧.
٤٧٩ سبق تخريجه برقم ٧٨.
٤٨٠ فتاوى ابن تيمية ١ /١٤٥.
٤٨١ المحلى بالآثار، لابن حزم، ج٥، ص١١٧.
٤٨٢ من كلمة د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، بمناسبة افتتاح معهد العلوم في أمريكا.
٤٨٣ الغلو في الدين، لعبد الرحمن اللويحق، ص٣٨٥.

«أما أحكام المذاهب فلسنا نخالفها في شيء، وهي مذاهبنا جميعاً من المذهب الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي. ومذهبنا هو اتباع الدليل حيث يكون، فإن فقد الدليل ولم يكن هناك اجتهاد اتبعنا اجتهاد ابن حنبل وما جاء في الكتاب والسنة. ونحب المسلمين جميعاً، ونرجو لهم الخير والفلاح والسعادة، ونرجو من الله، سبحانه وتعالى، أن ينصر دينه ويعليَ كلمته ويجمعنا على كلمة «لا إله إلا الله محمد رسول الله» إنه سميع قدير»[٤٨٤].

[٤٨٤] من أقوال الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ مجلة المبتعث، ص٢٧، العدد ١٤٧، ربيع الأول ١٤١٤هـ، الموافق أيلول (سبتمبر) ١٩٩٣م.

معنى الأداة ودورها في التفسير

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ۞ إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾[٤٨٥].

بيّن جل وعلا في هذه الآية الكريمة تثبيته لنبيه محمد ﷺ، وعصمته له من الركون إلى الكفار، وأنه لو ركن إليهم لأذاقه ضعف الحياة وضعف الممات. والمراد بضعف الحياة: العذاب المضاعف في الآخرة بعد حياة البعث. والمراد بضعف الممات هو العذاب المضاعف في القبر.

وهذا الذي دلت عليه هذه الآية من أنه إذا كانت الدرجة أعلى، كان الجزاء عند المخالفة أعظم، قد بينه تبارك وتعالى في موضع آخر، كقوله: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ...﴾[٤٨٦]. ولقد أجاد من قال:

وكبائرُ الرجل الصغير صغائرٌ وصغائرُ الرجل الكبير كبارُ

هذه الآية الكريمة: ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا...﴾ أوضحت غاية الإيضاح براءة سيدنا محمد ﷺ من مقاربة الركون إلى الكفار، فضلاً عن الركون نفسه؛ لأن معنى ﴿لَوْلَا﴾ حرف امتناع لوجود. فمقاربة الركون منعتها ﴿لَوْلَا﴾ الامتناعية؛ لوجود التثبيت من الله، جل

---

[٤٨٥] سورة الإسراء: ٧٤-٧٥.
[٤٨٦] سورة الأحزاب: ٣٠.

وعلا، لأكرم خلقه ﷺ. فصح يقيناً انتفاء مقاربة الركون، فضلاً عن الركون نفسه، وهذه الآية تبين ما قبلها، وأنه لم يقارب الركون إليهم بتاتاً؛ لأن قوله: ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا﴾؛ أي: قربت تركن إليهم، هو عين الممنوع بـ«لولا» الامتناعية ـ كما ترى ـ ومعنى تركن إليهم: تميل إليهم. هذا هو معنى لولا: «حرف امتناع لوجود»، أي امتنع الركون إليهم لوجود التثبيت. أما إعرابها فهو: حرف شرط غير جازم.

هذه «لولا» الامتناعية تبرئ ساحة يوسف ـ عليه السلام ـ مما نسب إليه في مسألة الهَم. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾[٤٨٧]، فامتنع الهم بها لوجود برهان الله تبارك وتعالى؛ لأن يوسف ـ عليه السلام ـ من المخلَصين الذين استُثنوا من إغواء إبليس، الذي أقسم ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[٤٨٨]؛ لأن الله، الله، عز وجل، قد وصف يوسف ـ عليه السلام ـ قائلاً : ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾[٤٨٩].

إن معنى الأداة يلعب دوراً في التفسير، ليس في التفسير وحسب، بل في الفقه أيضاً. ومن هنا نفهم قولهم: «إن من شروط الاجتهاد التمكن من علوم العربية...».

---

[٤٨٧] سورة يوسف: ٢٤.
[٤٨٨] سورة ص: ٨٢-٨٣.
[٤٨٩] سورة يوسف: ٢٤.

العلمية وروحها

كم من قضايا أدخلت تحت عنوان «العلم» وهي ليست من العلم في شيء، وهكذا فالعلم ما قامت عليه الأدلة القاطعة، فديننا الإسلامي عندنا علم، والعلم عندنا دين. ولم يعرف تراثنا صراعاً بين الدين والعلم كما عرفه الغرب، الذي أدار رحى الحرب بينهما قروناً، كان من آثارها محاكم التفتيش وأهوالها التي يندى لها جبين التاريخ.

حسبنا أن أول سورة نزلت من القرآن الكريم، بدأت بقوله سبحانه وتعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[٤٩٠]. وثاني سورة نزلت بدأت بقوله تعالى: ﴿ن ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[٤٩١].

لقد أنشأ القرآن الكريم «العقلية العلمية» التي تعد التفكير عبادة، والعلم فريضة، وترى الإنسان والتاريخ والكون كله مسرحاً للنظر والتأمل: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۞ وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[٤٩٢].

هذه العقلية التي لا تقبل ادعاء بغير برهان يثبت صحته، وإلا فالادعاء مردود على صاحبه: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٤٩٣].

فمن ادعى النبوة طولب بالبينة: ﴿فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِين﴾[٤٩٤].

---

٤٩٠ سورة العلق: ١.
٤٩١ سورة القلم: ١.
٤٩٢ سورة الذاريات: ٢٠-٢١.
٤٩٣ سورة البقرة: ١١١.
٤٩٤ سورة الأعراف: ١٠٦.

ومن دعا الناس إلى عقيدة، قيل له: ﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٤٩٥].

ومن ادعى في الدين شيئاً ينسبه إلى الله تعالى، قيل له ولمن وافقه: ﴿هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾[٤٩٦]، ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٤٩٧].

إنها العقلية العلمية التي تطلب البرهان اليقيني في العقليات، وصدق التجربة في الحسيات، وصحة النقل في المرويات: ﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٤٩٨].

إنها العقلية التي ترفض الظن في مقام اليقين: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾[٤٩٩].

وترفض أن تتبع هوى النفس أو أهواء الآخرين بدل اتباع الحق: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾[٥٠٠] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٥٠١].

وترفض مبدأ تقليد الآباء: ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا

---

[٤٩٥] سورة يونس: ٦٨.
[٤٩٦] سورة الأنعام: ١٤٨.
[٤٩٧] سورة الأنعام: ١٤٣.
[٤٩٨] سورة الأحقاف: ٤.
[٤٩٩] سورة يونس: ٣٦.
[٥٠٠] سورة القصص: ٥٠.
[٥٠١] سورة الجاثية: ١٨.

يَهْتَدُونَ﴾[٥٠٢]، وترفض اتباع الآخرين بغير حجة ولو كانوا سادة القوم وكبارهم: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾[٥٠٣].

إن الدعوة في الإسلام قائمة على بصيرة؛ لأنه لا يوجد في الإسلام: «أغمِض عينيك واتبعني»، كما عرف في الأديان السابقة.

إن الشريعة الإسلامية قائمة على رعاية مصالح العباد في المعاش والمعاد ـ كما يعبر فقهاؤها، فهي شريعة «منطقية» لا تفرق بين مماثلين، ولا تسوي بين مختلفين، ولهذا كان «القياس» أصلاً من أصولها المعتبرة عند جمهرة الفقهاء المسلمين. ولهذا قال أحد من آمن بالنبي ﷺ: «ما أمَرَ بشيء فقال العقل: ليته نهى عنه، ولا نهى عن شيء فقال العقل: ليته أمر به».

إن العلمية في الإسلام لا تعني مجرد السعي للحصول على التفوق العلمي وتأكيد الاهتمام بالمقررات «العلوم» وتطويرها تأليفاً وتعليماً وبحثاً في المدارس والجامعات ومراكز البحث العلمي وتوجيه العناية إلى التطور التقني الذي ينمو ويتصاعد يوماً بعد يوم، بل العلمية تعني إلى جوار هذا أن يسود «التفكير العلمي» وتسود «الروح العلمية» كلَّ علاقاتنا ومواقفنا وشؤون حياتنا، بحيث ننظر إلى الأشياء والأشخاص والأعمال والقضايا والمواقف «نظرة علمية»، ونصدر قراراتنا الاستراتيجية والتكنيكية: في الاقتصاد والسياسة والتعليم وغيرها بعقلية علمية وبروح علمية بعيداً عن

---

[٥٠٢] سورة المائدة: ١٠٤.
[٥٠٣] سورة الأحزاب: ٦٧.

الذاتية والارتجالية والانفعالية والعاطفية والغوغائية والتحكمية والتبريرية التي تسود أجواءنا هذه الأيام.

والروح العلمية لها سماتٍ، لعل أبرزها:

أولاً: النظرة الموضوعية إلى المواقف والأشياء والأقوال، فإن من عرف الحق عرف أهله؛ لأنه لا يُعرف الحق بالرجال.

ثانياً: احترام الاختصاصات: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾[٥٠٤]. ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾[٥٠٥] ﴿لَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[٥٠٦].

إن الذي يدعي المعرفة في الدين والسياسة والعلوم والفنون والاقتصاد والأمور العسكرية إنما هو في الحقيقة يعرف شيئاً، لكنْ تغيب عنه أشياء.

إننا في عصر التخصص الدقيق، فللدين أهله، وللاقصاد أهله، وللعسكرية أهلها، ولكل فن رجاله...

ثالثاً: القدرة على النقد البناء المؤدب، وتقويم تجارب الماضي تقويماً سليماً عادلاً، وتصويب النظرة القائلة: إن ماضينا كله مناقب وأمجاد... إن ماضينا عزيز، لكن فيه الغث والسمين...

رابعاً: إخضاع كل شيء للفحص والاختبار، وارتضاء النتائج، سواءٌ أكانت للإنسان أم عليه، ماعدا المسلّمات الدينية والعقلية.

---

[٥٠٤] سورة النحل: ٤٣.

[٥٠٥] سورة الفرقان: ٥٩.

[٥٠٦] سورة فاطر: ١٤.

خامساً: التريث في إصدار القرارات والأحكام التي تتصف بالدراسة المتأنية والاستقراء السليم والحوار البناء الهادف...

سادساً: الاستفادة من تجارب الآخرين، حتى لو كانوا خصوماً؛ لأن الحكمة ضالة المؤمن، وهو أحق الناس بها.

سابعاً: تقدير وجهات النظر الأخرى، متمثلين قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[٥٠٧]، واحترام آراء العلماء المخالفين في القضايا ذات الوجوه المتعددة في الفقه الإسلامي خاصة؛ لأنه لا إنكار في مسائل الاجتهاد، ولا يمنع هذا الحوار البناء والتحقيق العلمي النزيه المستند إلى الفهم العميق والاستنباط الدقيق في ظل الحب والتسامح وحسن الظن.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يؤلف بين القلوب ويهدينا سواء السبيل، إنه أهل لهذا ولغيره وقادر على كل شيء، والحمد لله حمداً كثيراً خالداً.

---

[٥٠٧] سورة البقرة: ٨٣.

القـــراءة والتعـــلم

القراءة اليوم مرور عابر على القرآن الكريم، أما القراءة الحقيقية فهي التي تقود إلى التعلم: ﴿خيرُكُم مَن تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَهُ﴾[٥٠٨] الحديث.

﴿ما اجتَمَعَ قَومٌ في بَيتٍ مِن بُيوتِ اللهِ تَعالى يَتلونَ كِتابَ اللهِ وَيَتَدارسونَه بَينَهم، إلَّا نَزَلتْ عليهمُ السَّكينةُ، وغَشِيَتهمُ الرَّحمةُ، وحَفَّتهمُ المَلائكةُ، وذكَرَهمُ اللهُ فيمَن عندَه﴾[٥٠٩].

أولاً: «القوم» يشمل الذكور والإناث.

ثانياً: «في بيت من بيوت الله» إشارة إلى التخصص في ميدان العلم، فإن المكان له اعتباره: إن ابنك يتعلم في المدرسة، ولا تقبل منه أن يتعلم في الشارع أو البيت أو في المتجر.

ثالثاً: تلاوة القرآن ومدارسته : «يتلون كتاب الله ويتدارسونه»، إنه لا قراءة بمفردها، بل القراءة والتعلم معاً: ﴿تعلَّموا القرآنَ واقرؤوه﴾[٥١٠].

- إن العلم له غاية تتجلى في تحوله إلى سلوكين اثنين: سلوك إيماني قابع في داخلنا، وسلوك ظاهري ﴿مَن قرأ القرآنَ فاسْتَظْهَرَهُ، فأَحَلَّ حلالَه ، وحَرَّمَ حرامَه، شَفَّعَهُ اللهُ في عَشْرَةٍ من أهلِ بيتِه ، كُلُّهُم قد وَجَبَتْ له النارُ﴾[٥١١].

---

٥٠٨ سبق تخريجه برقم ١٦٤.
٥٠٩ سنن أبي داوود، برقم ١٤٥٥.
٥١٠ سنن الترمذي، برقم ٢٨٧٦.
٥١١ سنن الترمذي، برقم ٢٩٠٥.

- إن العلم له ثمرة، وثمرة العلم تطبيق، وثمره العلم سلوك: فأين ثمرة العلم في مجتمعاتنا؟

أين ثمرة العلم المحصل من كتاب الله في مدارسنا؟ في شوارعنا؟ جامعاتنا؟ ثُكْناتنا؟

ـ نعم، نرى التلفاز يستفتح بآيات من آي الذكر الحكيم، ولكن هذه الآيات التي تقرأ ونسمعها ينبغي أن تكون حاكمة على البرامج بعدها كي يكون القرآن مطبقاً، كي يكون العلم سلوكاً نعيشه، وإلا انتابنا قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[٥١٢].

[٥١٢] سورة الصف: ٣.

فوائد متنوعة

الإمـــام ساجــد

قال النبي ﷺ: ﴿إذا وجدتمُ الإمامَ ساجداً فاسجدوا، أو راكعاً فاركعوا، أو قائماً فقوموا، ولا تعتدوا بالسجود إذا لم تدركوا الركعة﴾[٥١٣].

وقال ﷺ: ﴿التسبيح للرجال والتصفيق للنساء﴾[٥١٤].

وعن ابن عمر قال: رخص رسول الله ﷺ للنساء في التصفيق وللرجال في التسبيح. والحديث صحيح.

قال رسول الله ﷺ: ﴿إذا استُؤذنَ على الرجل وهو يصلي فإذنه التسبيح، وإذا استؤذن على المرأة وهي تصلي فإذنها التصفيق﴾[٥١٥].

عن مروان بن معاوية الفزاري أن يزيد بن كَيسان استأذن على سالم بن أبي الجعد وهو يصلي، فسبّح، فلما سلّم قال: «إن إذن الرجل إذا كان في الصلاة يسبّح، والمرأة أن تصفق»[٥١٦].

عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسولَ الله دُلّني على عمل إذا أخذتُ به دخلتُ الجنة، ولا تُكثر عليَّ، فقال: لا تغضب. وأتاه

---

٥١٣ السلسلة الصحيحة، للألباني، برقم ١١٨٨.

٥١٤ سنن ابن ماجه، المجلد الأول ص١٧٠، باب التسبيح للرجال في الصلاة والتصفيق للنساء.

٥١٥ السلسلة الصحيحة، للألباني، المجلد الأول ص٨١٠.

٥١٦ مسند أحمد بن حنبل، ٢، ص٢٩٠.

رجل آخر فقال: يا نبيَّ الله دُلّني على عمل إذا عملته دخلتُ الجنة. فقال: كن محسناً. قال: وكيف أعلم أني محسن؟ فقال: تسأل جيرانك، فإن قالوا: إنك محسن فأنت محسن، وإن قالوا: إنك مسيء فأنت مسيء[٥١٧].

ورواه النَّسائي رواية أخرى هكذا: ﴿إذا سمعت جيرانك يقولون: أحسنت، فقد أحسنت، وإذا سمعتهم يقولون: قد أسأت، فقد أسأت﴾[٥١٨].

باب ما جاء في الصلاة والسجدة عند الشكر:

عن أنس بن مالك ﴿أن النبي ﷺ بُشِّـرَ بحاجة، فخر ساجداً﴾[٥١٩].

وعن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه قال: «لما تاب الله عليه خرّ ساجداً»[٥٢٠].

وعن أبي بكر أن النبي ﷺ كان إذا أتاه أمر يَسُرُّهُ أو يُسَرُّ به خر ساجداً؛ شكراً لله تبارك وتعالى[٥٢١].

باب ما جاء في أن الصلاة كفارة

عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ما من رجل يذنب ذنباً فيتوضأ فيحسن الوضوء ثم يصلي رَكعتين ويستغفر إلا غفر الله له﴾[٥٢٢].

---

٥١٧ سنن النسائي، ج٢، ص٥٦.
٥١٨ السلسلة الصحيحة، للألباني، ج٣، ص٣١٧.
٥١٩ صحيح سنن ابن ماجه، الجزء الأول، ص٢٣٣.
٥٢٠ المصدر السابق.
٥٢١ المصدر نفسه.
٥٢٢ صحيح سنن بن ماجه، ج١/ ص٢٣٤. والحديث حسن.

حقـــوق عليـــك

إن الإسلام منهج متوازن، فهو يوازن بين الروح والجسم، بين العقل والقلب، بين الدنيا والآخرة، بين المثال والواقع، بين النظر والعمل، بين الغيب والشهادة، بين الحرية والمسؤولية، بين الفردية والجماعية، بين الاتباع والابتداع.

إنه منهج وسط لأمة وسط، يمتاز باليسر والسهولة والسماحة، لذلك لما رأى سيدنا رسول الله ﷺ مبالغة عبد الله بن عمرو في الصوم والقيام والتلاوة رده إلى الاعتدال قائلاً: ﴿إن لجسدك عليك حقاً (أي في الراحة)، ولعينك عليك حقاً (أي في النوم)، ولزوجك عليك حقاً (أي في الإكرام والمشاركة والإمتاع والمؤانسة والتواصي بالنصح والصبر)، ثم صدر الأمر منه ﷺ: فأعطِ كل ذي حق حقه﴾[٥٢٣].

الصـــــوم

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝

---

[٥٢٣] صحيح البخاري، برقم ٥١٩٩.

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٥٢٤]

الصوم عبادة قديمة فرضها الله سبحانه وتعالى على الأمم قبلنا، ولكن أهل الكتاب غيروا وبدلوا في هذه الفريضة. روى الطبري بسنده، قال: «كتب على النصارى شهر رمضان، وكتب عليهم ألا يأكلوا ولا يشربوا بعد النوم، ولا ينكِحوا النساء في شهر رمضان، فاشتد على النصارى صيام رمضان، وجعل يقلب عليهم في الشتاء والصيف، فلما رأوا ذلك اجتمعوا فجعلوا صياماً بين الشتاء والصيف (يعني الربيع) وقالوا: نزيد عشرين يوماً نكفّر بها ما صنعنا، فجعلوا صيامهم خمسين»[٥٢٥].

ـ إن الصوم يورث التقوى ﴿لعلكم تتقون﴾، فلو لم يفرض لفات هذا المقصد الشريف.

ـ إنه مختص بأيام ﴿مَّعْدُودَاتٍ﴾، ولو جعله أبداً لحصلت المشقة العظيمة.

ـ إنه مخصوص من بين الشهور بالشهر ﴿الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾، بوصفه أشرف الشهور.

---

[٥٢٤] سورة البقرة: ١٨٣ ــ ١٨٥.
[٥٢٥] جامع البيان، للطبري ج٢، ص١٢٩.

ـ أفاد قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ﴾[٥٢٦] أن الشيخ الكبير والمرأة العجوز يجوز لهما الإفطار مع الفدية. وفرقٌ بين الطاقة والوسع.

فالطاقة: تعني القدرة على الشيء مع الشدة والمشقة.

والوسع: القدرة على الشيء على وجه السهولة ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٥٢٧].

ـ أفاد قوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[٥٢٨] شهود الوقت لا شهود رؤية الهلال؛ إذ ربما لا يراه إلا واحد أو اثنان، ويجب صيامه على جميع المسلمين. و«شهد» بمعنى حضر، وفيه إضمار: أي من شهد منكم الشهر مقيماً غير مسافر ولا مريض فليصمه.

ـ أفاد قوله تعالى: : ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[٥٢٩] أدباً لطيفاً عن المباشرة الجنسية، فإنه لما كان الرجل والمرأة يتعانقان فيضم كل واحد منهما جسمه إلى جسم صاحبته حتى يصير كل واحد منهما كالثوب الذي يلبَسه، سُمي كل واحد منهما لباساً[٥٣٠].

ـ أفاد قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾[٥٣١]. بياضَ النهار وسواد الليل.

---

[٥٢٦] سورة البقرة: ١٨٤.
[٥٢٧] سورة البقرة: ٢٨٦.
[٥٢٨] سورة البقرة: ١٨٥.
[٥٢٩] سورة البقرة: ١٨٧.
[٥٣٠] الكشاف، للزمخشري، ج١،١ص٧٢.
[٥٣١] سورة البقرة: ١٨٧.

روي أنه لما نزلت الآية، قال عدي بن حاتم: أخذت عقالين: أبيض، وأسود فجعلتهما تحت وسادتي، وكنت أقوم من الليل فأنظر إليهما فلم يتبين لي الأبيض من الأسود، فلما أصبحت غدوت إلى رسول الله ﷺ، فأخبرته فضحك وقال: ﴿إنك لمريض القفا، إنما ذلك بياض النهار وسواد الليل﴾[٥٣٢].

إذاً:

١ ـ الصيام شريعة الله لجميع الأمم، فرضه الله على جميع المسلمين.

٢ ـ الصوم مدرسة روحية لتهذيب النفس وتعويدها على الصبر.

٣ ـ اختار الله شهر رمضان لفريضة الصيام؛ لأنه شهر القرآن.

٤ ـ رخص لأهل الأعذار في الإفطار؛ رحمة منه سبحانه وتيسيراً.

جـــــاء العـــزيـــز الغائـــب

ـ ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾[٥٣٣].

ـ هل نزل في الليل أم في النهار؟ ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾[٥٣٤]

ـ وماهـــي هذه الليلـــة؟ ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[٥٣٥] نعم. القرآن يفسر بعضه بعضاً.

هذا الشهر فيه البركة كلها: ـ ثواب السنة يعدل ثواب الفريضة، وثواب الفريضة يعدل سبعين فريضة.

---

٥٣٢ صحيح البخاري وأحمد. وينظر الكشاف ج١، ص١٧٥، والطبري ج٢، ص١٧٢.

٥٣٣ سورة البقرة: ١٨٥.

٥٣٤ سورة الدخان: ٣.

٥٣٥ سورة القدر: ١.

ـ أما بركة السحور فعظيمة جليلة:

أولاً: نحافظ على صلاة الفجر.

ثانياً: نغتنم وقتاً لقراءة القرآن المشهود به، وهو الأنيس في القبر والشفيع يوم الحشر.

ثالثاً: نكسب الدعاء، وهو العبادة كلها، ولا يردُّ القضاءَ إلا الدعاء.

أيها الأحبة: رمضان الخير ضيفنا العزيز، وهو ضيف الله:

يوصينا ضيفنا: بترطيب اللسان: «لا إلا الله محمد رسول الله»، ويوصينا بحفظ العين، وبحفظ الأذن ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[٥٣٦]، ويوصينا بأن نكون محسنين، وذلك بالعفو عن الناس وإدخال السرور إلى قلوبهم، ويوصينا بالإصلاح بين إخواننا، ويوصينا بإطالة أعمارنا، وذلك بصلة أرحامنا، ويوصينا أن تملك أنفسنا عند الغضب، ويوصينا أن نكون رحماء فيما بيننا، ويوصينا بقوله تعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[٥٣٧].

ـ يذكرنا بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٥٣٨].

ـ يبشرنا بأرجى آية في كتاب الله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ

---

[٥٣٦] سورة الإسراء: ٣٦.
[٥٣٧] سورة الشورى: ١٣.
[٥٣٨] سورة الزمر: ٥٣.

ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ۞ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا...﴾[٥٣٩].

نعم. إن صفوة عباد الله، وهم أمة محمد ﷺ على اختلاف أصنافهم سوف يدخلون الجنة برحمة الله سبحانه وتعالى.

رمضان الخير يقول لنا: يا مسلمون، أنتم خير الأمم عند الله تعالى، فلا تنسوا هداية الناس...

رمضان الخير يقول لنا: يا مسلمون، أنتم تملكون ثمانين بالمئة من ثروات العالم، فلا تذهبوها، بل حافظوا عليها.

رمضان الخير يقول لنا: يا مسلمون، في القرآن سورة الحديد، اصنعوا منه قوة حتى ترهبوا به الأعداء وتغيظوا الحساد...

رمضان الخير يقول لنا: يا مسلمون، الله يطلب إليكم عمارة الأرض عمارة حسية وعمارة معنوية، وذلك بعبادة الله وبإحسان العمل وبالدعوة إلى الله، وبالتواصي بالحق وبالتواصي بالصبر، وبنشر العدالة بين الناس...

والشكر هو قيد النعم، فإن لم نَرْعَ حق الله بشكره قولاً وسلوكاً فلا نلومنّ إلا أنفسنا، ولنا في قصص الماضين من الأمم عبرة.

---

[٥٣٩] سورة فاطر: ٣٢-٣٣.

شهر رمضان مبارك عليكم

أيها الإخوة: هلّ علينا شهر رمضان، شهر الخير والإحسان، شهر المحبة والتسامح، فكلَّ عام وأنتم بخير، سائلاً الله أن يتقبل منا ومنكم الصيام والقيام، وأن يعيده علينا وعليكم وعلى الأمة الإسلامية بالنصر والتمكين إنه سميع مجيب.

من فضائل هذا الشهر الكريم:

ـ فيه ليلة القدر، وهي خير من ألف شهر.

ـ ثواب السُّنّة في كثواب الفرض في غيره.

ـ ثواب الفرض فيه كثواب سبعين فرضاً في غيره.

ـ إنه شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٥٤٠].

ـ من فطّر فيه صائماً كان له مثل ثوابه.

ـ الملائكة تستغفر للصائمين كل ليلة.

ـ تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب النيران وتصفّد الشياطين.

ـ أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار.

ـ ثواب التراويح والاعتكاف فيه عظيم ومضاعف.

---

[٥٤٠] سورة الزمر: ١٠.

ـ لا غنى عن زكاة الفطر، التي تبدأ من أول رمضان إلى قبل صلاة العيد (من قوت أهل البلد أو مال) ففي الأثر: «أغنوا المساكين هذا اليوم».

حذارِ حذار

ـ حذار حذار من اللفظ الفاحش البديء.

ـ حذار حذار من الغيبة والنميمة والقيل والقال والحسد.

ـ حذار حذار من العصبية والتكبر والعجب: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾[٥٤١]، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٥٤٢].

لا تنسَوا أربع كلمات في النهار:

ـ لا إله إلا الله محمد رسول الله

ـ أستغفر الله العظيم

ـ اللهم إني أسألك الجنة

ـ اللهم إني أعوذ بك من النار

وكلمة في الليل: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين وصحبه الطاهرين، والحمد لله رب العالمين.

---

[٥٤١] سورة الطارق: ٥.

[٥٤٢] سورة الحجرات: ١٣.

عيسى بن مريم عليه السلام حيٌّ

لقد تأول بعض المسلمين «متوفيك» في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[٥٤٣] بـ«مُميتك»، واقتضاهم ذلك أن يفسروا «ورافعك إليَّ» برفع الرتبة، ولم يلاحظوا أن كلمة «إليّ» تقتضي أن تكون رتبته ارتفعت بعد وفاته إلى حيث تساوت مع رتبة الله عز وجل!

...وحسبك هذا دليلاً واضحاً على مبلغ فساد هذا التأويل بموجب كل المقاييس اللغوية والدينية.

إن المعنى السليم للآية هو: إني مُنْهٍ ومستوف أيامَ وجودِك في الأرض ورافعُك إلى السماء... وهذا لا يستلزم الموت الذي هو من المعاني المجازية لكلمة الوفاة، بل هو ينافيه.

ومن أوضح الأمثلة التي تنفي احتمال المجاز في هذه الكلمة قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[٥٤٤]، فإن المعنى المتعين الذي لا بديل عنه أن الله تعالى أخفى نبيّه عنهم بأنْ رفعه إلى سمائه، فلم يقعوا منه على شيء يقتلونه أو يصلبونه.

يدلك على ذلك أن «بل» المسبوقة بنفي لا تقع إلا بين نقيضين، فليس لك

---

[٥٤٣] سورة آل عمران: ٥٥.

[٥٤٤] سورة النساء: ١٥٨.

أن تقول وأنت عربي: لست جائعاً، بل أنا مضطجع، بل أنا شبعان، وليس لك أن تقول: ما مات خالد بل هو تقي، وإنما تقول: بل هو حي.

وهكذا فإن معنى الآية: ما قتله اليهود كما زعموا، بل إن الله استلبه حياً ورفعه إلى السماء. وهو نص واضح بيّنٌ ـ كما ترى ـ على أن عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ لا يزال حياً. ويزداد هذا المعنى تأكداً بقوله عز وجل بعد ذلك: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[٥٤٥]، فمن المعلوم أن الضمير في (قبل موته) يعود إلى سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام. وهو نص قاطع بأنه لم يمت بعد. والمقصود بـ«أهل الكتاب الذين سيؤمنون به نبياً وعبداً لله عز وجل» أولئك الذين يعايشونه ويكونون موجودين وقت نزوله، كما أكدت الأحاديث الصحيحة الكثيرة.

إن التشبث لمدعي موت عيسى ـ عليه السلام ـ بقوله تعالى : ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[٥٤٦] باطل عند أهل القرآن من أوجه:

الأول: معناه إني قابضك ورافعك إليّ من غير موت، مأخوذ من قولهم: توفيت الشيء واستوفيته إذا أخذتَه وقبضته تماماً. والمقصود منه على هذا الوجه أن لا يصل أعداؤه من اليهود إليه بقتل ولا غيره، ولا يقال على هذا الوجه: يلزم أن يكون التوفي عين الرفع، فيصير قوله: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾

---

[٥٤٥] سورة النساء: ١٥٩.

[٥٤٦] سورة آل عمران: ٥٥.

تكراراً؛ لأن قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ يدل على حصول التوفي، وهو جنس تحته أنواع، بعضها بالموت، وبعضها بالإصعاد إلى السماء، فلما قال بعده ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ كان هذا تعييناً للنوع، لا للتكرار.

الثاني: إن المراد بالتوفي: النوم، ومنه قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾[٥٤٧]فجعل الله تعالى النوم وفاة، وكأن عيسى ـ عليه السلام ـ على هذا الوجه نام، فرفعه الله إليه وهو نائم؛ لئلا يلحقه خوف. المعنى عليه: إني مُنوِّمك ورافعك إلي.

الثالث: الآية على التقديم والتأخير؛ لأن الواو لا تفيد الترتيب لغة. والمعنى: إني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد أن تنزل من السماء. يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾[٥٤٨]، قال الشاعر:

ألا يا نخلة من ذات عرق عليك ورحمة الله السلامُ

أي: عليك السلام ورحمة الله. فالآية على هذا الوجه تدل على أن الله تعالى يفعل به ما ذكر، فأما كيف يفعل ومتى يفعل؟ فالأمر فيه موقوف على الدليل. وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة الكثيرة أن عيسى، عليه السلام، سينزل ويقتل الدجال، ومنها ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم

---

[٥٤٧] سورة الزمر: ٤٢.
[٥٤٨] سورة طه: ١٢٩.

ابن مريم حكماً عدلاً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد﴾[٥٤٩] وزاد في رواية: ﴿حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها﴾، ثم يقول أبو هريرة:

اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾[٥٥٠]. وفي رواية: ﴿كيفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وإِمَامُكُمْ مِنكُمْ﴾[٥٥١]. وفي رواية ﴿فأمَّكم منكم﴾. قال ابن أبي ذؤيب: تدري ما «أمكم منكم»؟ قلت: فأخبرني، قال: فأمكم بكتاب ربكم، عز وجل، وبسنة نبيكم ﷺ. وفي أفراد مسلم من حديث النواس بن سمعان قال: ﴿... فبينما هم كذلك إذا بعث الله المسيح ابن مريم ـ عليه السلام ـ فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق﴾. ومنها ما أخرجه جابر بن عبد الله ، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ولا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال فينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم: تعال صلِّ لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة﴾. ومنها ما أخرجه أبو داود عن أبي هريرة أيضاً، أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ليس بيني وبينه ـ يعني عيسى ـ نبي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجل مربوع إلى الحُمرة والبياض، ينزل بين مَمْصّرتين كأن رأسه يقطر، وإنْ لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويهلك

---

[٥٤٩] سنن الترمذي، برقم ٢٢٣٣.
[٥٥٠] سورة النساء: ١٥٩.
[٥٥١] صحيح البخاري، برقم ٣٤٤٩.

المسيح الدجال، ثم يمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون﴾.

ومنها ما أخرجه الطبراني وابن عساكر عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ينزل عيسى ابن مريم فيمكث في الناس أربعين سنة﴾. وفي لفظ الطبراني: ﴿يخرج الدجال، فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فيقتله، ثم يمكث في الأرض أربعين سنة إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً﴾. وعند الإمام أحمد وابن أبي شيبة وأبي داود وابن جرير وابن حبان عنه أنه «يمكث أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفِنونه عند نبينا ﷺ».

وأخرج ابن أبي شيبة والحاكم في المستدرك عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ﴿وينزل عيسى فيقتله ـ أي الدجال ـ لعنه الله، فيتمتعون أربعين سنة لا يموت أحد، ويقول الرجل لغنمه ولدوابه اذهبوا فارعوا، وتمر الماشية بين الزرع لا تأكل منه سنبلة، والحيات والعقارب لا تؤذي أحداً، والسبع على أبواب الدور لا يؤذي أحداً، ويأخذ الرجل المد من القمح فيبذره بلا حرث فيجيء منه سبعمئة مد، فيمكثون في ذلك حتى يكسر سد يأجوج ومأجوج﴾. ومنها ما أخرجه الإمام أحمد وأبو يعلى وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ﴿ينزل عيسى ابن مريم في الأرض أربعين سنة إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً﴾، وعند الإمام أحمد وابن جرير وابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ينزل عيسى ابن مريم، فيقتل الخنزير ويمحو الصليب،

وتجمع له الصلاة ويُعطى المال حتى لا يُقبل، ويَضعُ الخراج ويَنزل الروحاء فيحج منها أو يعتمر، أو يجمعهما».

الرابع: إن معنى التوفي أخْذُ الشيء وافياً. فلما علم الله سبحانه وتعالى، أن من الناس من يخطر بباله أن الذي رفعه الله إليه هو روحه دون جسده ـ كما زعمت النصارى أن المسيح عليه السلام رُفع لاهوتُه، يعني روحه، وبقي في الأرض ناسوتُه، يعني جسده، رد عليهم بقوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[٥٥٢]. فأخبر الله تعالى أنه عليه السلام رفع بتمامه إلى السماء بروحه وجسده جميعاً، يدل لصحة هذا الوجه قوله تعالى: ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ﴾[٥٥٣]،كما يدل له ولغيره من الأوجه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾[٥٥٤] ـ بفتح العين واللام ـ أي: أمارة. وإذا تحقق أن التوفي على هذه الأوجه الأربعة لا يدل على موته، بل على رفعه إلى السماء، فإن تعقيب قوله تعالى:﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾[٥٥٥] بقوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾[٥٥٦] قطعي في الرفع الذي نقول به، وذلك لأن النحاة صرحوا بأن «بل» بعد النفي تجعل ما بعدها ضداً لما قبلها، وكذلك «إلى» فإنها لانتهاء الغاية، وأما الضمير في «رفعه» فيقيد الروح والجسد جميعاً. قال الحسن البصري، رحمه الله: «الوفاة في كتاب الله عز وجل على ثلاثة أوجه:

---

٥٥٢ سورة آل عمران: ٥٥.
٥٥٣ سورة النساء: ١١٣.
٥٥٤ سورة الزحرف: ٦١.
٥٥٥ سورة النساء: ١٥٧.
٥٥٦ سورة النساء: ١٥٨.

وفاة الموت، وذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[٥٥٧]: يعني وقت انقضاء أجلها. ووفاة النوم، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾[٥٥٨] يعني الذي يُنِيمكم، ووفاة الرفع قال الله تعالى: ﴿يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾[٥٥٩]؛ لأن التوفي والاستيفاء بمعنى واحد، قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾[٥٦٠]. نعم: إن عيسى ـ عليه السلام ـ حيٌّ في السماء، وإنه سوف ينزل ويقتل الدجال...

الخامس: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾، أي: مميتك الموت الحقيقي الذي كتبته على كل مخلوق، عند انقضاء أجلك بعد نزولك إلى الأرض. والمسلمون كلهم يعتقدون ويقولون بموجب هذا، إذ لا دلالة على تعيين وقت موته حقيقةً لا عقلاً ولا نقلاً، وكتاب الله الذي ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾[٥٦١] قد نطق وصرح بأن اليهود لم يقتلوا عيسى ـ عليه السلام ـ ولم يصلبوه ولكن شبه لهم، وصرح بأن الله رفعه إلى السماء.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، والحمد لله رب العالمين.

ملحوظة: لعل سائلاً يسأل: ما مناسبة هذا الكلام ونحن في أواخر القرن العشرين، وهموم الأمة على ما نرى؟

الجواب: القاديانية (الأحمدية) منتشرة انتشار الجراد هنا في أمريكا عامة، وفي منطقة واشنطن خاصة. يدّعون بأن عيسى ـ عليه السلام ـ قد مات.

---

[٥٥٧] سورة الزمر: ٤٢.
[٥٥٨] سورة الأنعام: ٦٠.
[٥٥٩] سورة آل عمران: ٥٥.
[٥٦٠] سورة النور: ٣٠.
[٥٦١] سورة فصلت: ٤٢.

أصـــول العوالـــم

لقد بيّن النبي ﷺ أصول العوالم في هذا الكون، وهم: الملائكة، والجن، والإنس. وذلك في الحديث المروي عن السيدة عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿خُلِقَتِ المَلائِكَةُ مِن نُورٍ، وخُلِقَ الجانُّ مِن مارِجٍ مِن نارٍ، وخُلِقَ آدَمُ ممَّا وُصِفَ لَكُمْ﴾[٥٦٢].

لقد قدم رسول الله ﷺ ذكر الملائكة؛ لأنهم أسبق في الوجود على الجن، ثم الجن؛ لأنهم خلقوا قبل الإنس. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۞ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾[٥٦٣].

فالملائكة خلقت من نور، وأما الجن فقد خلق أبوهم الأول وهو الجان من نار السموم. قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾[٥٦٤]؛ أي: من نار مخلوطة بهواء، كما قال المحققون. والمعنى أنهم خلقوا من عنصرين مختلطين: النار والهواء.

وأما أبو البشر آدم ـ عليه السلام ـ فإنه خلق كما وصفه الله تعالى في مواضع متعددة من الكتاب العزيز، بحسب المناسبات الحكيمة. فأخبر سبحانه في موضع أنه خلق من تراب، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[٥٦٥] الآية، إشارة

---

٥٦٢ صحيح مسلم، برقم ٢٩٩٦.
٥٦٣ سورة الحجر: ٢٦-٢٧.
٥٦٤ سورة الرحمن: ١٥.
٥٦٥ سورة آل عمران: ٥٩.

إلى المبدأ الأول. وفي موضع آخر أخبر أنه خلقه من طين، قال تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾[٥٦٦]، إشارة إلى الجمع بين التراب والماء. وأخبر في موضع آخر أنه خلقه من صلصال من حمأ مسنون، إشارة إلى يبسه وسماع صلصلة منه، وأخبر في موضع آخر أنه خلقه من صلصال كالفخار. قال تعالى:﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾[٥٦٧]، ثم نبه على تكميل هذا الإنسان ينفخ الروح فيه، فقال سبحانه: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[٥٦٨]. فأمر الملائكة بالسجود له بعد أن نفخ الروح فيه. ثم نبه سبحانه على تكميل نفس هذا الإنسان بالعلوم والمعارف والآداب، فقال سبحانه: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[٥٦٩].

ولعل سائلاً يسأل: لماذا قال رسول الله ﷺ: ﴿خُلق آدمُ مما وُصِفَ لكم﴾ ولم يقل كما قال قبله؛ أي في الملائكة والجن، طياً للاختصار؟

الجواب أن الملائكة لم يختلف أصل خلقها، وكذلك الجان. وأما الإنسان فاختلف خلقه على أربعة أنواع:

فخلق آدم لا يشبه خلق حواء، وخلق عيسى لا يشبه خلق الكل، أي لا يشبه خلق آدم ولا حواء ولا خلق ذريتهما، فأحال ﷺ على ما وصل إلينا من تفصيل خلق الإنسان؛ لأنه ﷺ أوتى جوامع الكلم. ثم إن الجن والإنس

---

[٥٦٦] سورة السجدة: ٧.
[٥٦٧] سورة الرحمن: ١٤.
[٥٦٨] سورة الحجر: ٢٩.
[٥٦٩] سورة البقرة: ٣١.

تشملهما صفة الذكورة والأنوثة، ويجري بينهم التناكح والتناسل. أما الملائكة ـ عليهم السلام ـ فلا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، فإنهم نوع من خلق الله تعالى وعباد من عباد مغايرون لنوع الإنس والجن.

قال تعالى رداً على المشركين الذين حكموا على الملائكة بالأنوثة: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾[٥٧٠].

[٥٧٠] سورة الزخرف: ١٩.

تمثلات الملائكة عليهم السلام

لقد أعطى الله تعالى الملائكة ـ عليهم السلام ـ قوة التشكيل بأشكال مختلفة، وذلك بحسب المناسبات التي تقتضيها الحالات التي يذهبون فيها بأمر الله سبحانه وتعالى.

(١) قال تعالى مخبراً عن مريم ـ عليها السلام: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[٥٧١] لقد جاءها جبريل ـ عليه السلام ـ بصورة بشر سوي الخلق كامل البنية، يبشرها بغلام زكي النفس نامي الخير، بر الوالدة.

(٢) ومن تمثلات الملائكة، بحسب ما ذكره الله تعالى عنهم في قوله: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ۞ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۞ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ۞ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۞ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾[٥٧٢]. نعم. لقد جاءت الملائكة إلى خليل الرحمن إبراهيم ضيوفاً في صور رجال حِسان شُبان عليهم المهابة والوَقار، ﴿فَقَالُوا سَلَامًا﴾؛ أي نسلّم عليك سلاماً. ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾: أي سلام دائم عليكم فحياهم بأحسن من تحيتهم، كما أمر الله تعالى بذلك؛ لأن تحيته كانت بجملة اسمية دالة على الثبوث والدوام؛ وغير مرتبطة بزمن.

---

[٥٧١] سورة مريم: ١٧.
[٥٧٢] سورة الذاريات: ٢٤ ـ ٢٨.

(٣) ومن تمثلات الملائكة ـ عليهم السلام ـ ما ثبت في الصحاح، أن جبريل عليه السلام كان يأتي النبي ﷺ بصورة رجل أعرابي حسن المنظر، وكثيراً ما كان يتمثل له بصورة «دحية بن خليفة الكلبي»، حيث كان جميل الصورة حسن الهيئة، وأحياناً يتمثل بصورة أعرابي غير معروف؛ «رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر»، ليراه الصحابة ويسمعوا سؤاله للنبي ﷺ، وليسمعوا جواب الرسول ﷺ له عن أمور دينهم، ويتعلموها من طريق السؤال والجواب، لتنزل في قلوبهم وترتسم في ذاكرتهم.

عبادة الملائكة وخشيتهم من الله تعالى:

(٤) قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[٥٧٣] الآية.
فالملائكة لا يتعبون ولا يملون من عبادة الله وهي تسبيحه، سبحانه وتعالى.

(٥) ويستغفرون لمن في الأرض؛ لأنه سبحانه هو الغفور الرحيم. وهو سبحانه قد أذِن لهم بذلك ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٥٧٤].
عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إنّي أرَى ما لا ترَونَ وأسمعُ ما لا تسمَعون، أَطَتْ السماءُ وحق لها أن تَئِطَّ؛ ما فيها موضِعُ أربعِ أصابِعَ إلا ومَلَكٌ واضِعٌ جبهَتَهُ لله ساجدًا. واللهِ لو تَعلمونَ ما أعْلَمُ لضَحِكْتُمْ قليلًا ولبَكَيتُمْ كثيرًا، وما تَلَذَّذْتُمْ بالنساءِ على الفُرُشِ، ولخَرَجْتُمْ إلى

---

[٥٧٣] سورة الأنبياء: ٢٠.
[٥٧٤] سورة الشورى: ٥.

الصَّعُدَاتِ تجْأَرونَ إلى اللهِ﴾[٥٧٥]، (أي: لخرجتم إلى صعدات الأرض ومرتفعاتها تفزعون إلى الله تعالى وتستغيثونه).

و«أطّت»: ظهر لها صوت من كثرة الملائكة فوقها.

تكريم الله تعالى ملائكته عليهم السلام:

١ ـ إنهم عباد مكرَمون.

٢ ـ لا يقولون شيئاً حتى يقوله سبحانه وتعالى أو يأمر به.

٣ ـ يوقنون بأن عِلمه – سبحانه - محيط بهم.

٤ ـ لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله تعالى أن يشفعوا له.

قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۞ لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ۞ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[٥٧٦].

روي أنه لما ظهر رسول الله ﷺ بالمدينة قدِم عليه حِبران من أحبار أهل الشام، وقد عرَفاه بالصفة الواردة في الكتب السماوية السابقة، فقالا له: أنت محمد، فقال ﷺ: نعم، فقالا له: إنا نسألك عن شهادة، فإن أنت أخبرتنا بها آمنا بك وصدقناك، فقال ﷺ لهما: سلاني، فقالا له: أخبرنا عن أعظم شهادة في كتب الله تعالى النازلة على رسله، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ

---

[٥٧٥] سنن الترمذي، برقم ٢٣١٢.

[٥٧٦] سورة الأنبياء: ٢٦-٢٩.

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٥٧٧]، فأسلما[٥٧٨].

رؤساء الملائكة عليهم السلام:

منهم جبرائيل وإسرافيل وميكائيل وملك الموت، ويسمى عَزرائيل، ولكل منهم أعمال ووظائف يقوم بها بإذن الله تعالى.

أما معاني هذه الأسماء، فقد روى البهيقي في الشُّعَب عن ابن عباس، رضي الله عنهما أنه قال: في ما روى ابن جَرير وغيره: عن علي بن الحسين، رضي الله عنهما، أنه قال: اسم جبريل عبد الله، واسم ميكائيل عُبيد الله، واسم إسرافيل عبد الرحمن، وأما عَزرائيل فمعناه عبد الجبار، عليهم السلام[٥٧٩].

الملائكة تصلي على الصف الأول في الصلاة، وعلى من يَصِلُ الصفوف،

١ـ عن البراء بن عازب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ﴿إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول﴾[٥٨٠].

٢ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ﴿إن الله وملائكته يصلون على الذين يصِلون الصفوف، ومن سدّ فرجة رفعه الله بها درجة﴾[٥٨١].

---

٥٧٧ سورة آل عمران: ١٨.
٥٧٨ تفسير الآلوسي، روح المعاني.
٥٧٩ ابن تيمية صرح بلفظ «عزرائيل» ملَك الموت، في التفسير الكبير ج٦، ص٥٤.
٥٨٠ سنن ابن ماجه، برقم ٩٧٧.
٥٨١ سنن ابن ماجه، برقم ٨٢١.

الملائكة تصلي على من جلس في مُصلّاه بعد الصلاة:

ـ عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

﴿إنَّ العبدَ إذا جلَس في مصلاهُ بعدَ الصلاةِ صلَّتْ عليه الملائكةُ وصلاتُهم عليه : اللهم اغفرْ له اللهم ارحمْه وإنْ جلَس ينتظرُ الصلاةَ صلتْ عليه الملائكةُ وصلاتُهم عليه : اللهمَّ اغفرْ له اللهم ارحمْه﴾[٥٨٢].

ملائكة الرحمة والبركة لا تدخل بيتاً فيه صورة ولا جُنُب ولا كلب:

ـ عن علي، رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: ﴿لا تدخلُ الملائِكَةُ بَيتًا فيهِ جُنبٌ ولا صورةٌ ولا كلبٌ﴾[٥٨٣].

---

٥٨٢ مسند أحمد بن حنبل، ج٢، ص٢٩٢.

٥٨٣ المصدر السابق، ج٢، ص٥٢.

عالم الجن

وجب الاعتقاد الجازم بوجود الجن، وأنهم عالم حقيقي وليس وهمياً تخيلياً، ولا نوعاً من النفوس البشرية الشريرة، ولا من القوى البشرية الخبيثة، ولا من نوع من الجراثيم المكروبية الضارة، فإن جميع هذه الأفهام والأوهام حول عالم الجن هي تحريف لكلام الله تعالى عن معانيه المرادة منه...

خلق الجن: قال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ۞ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾[٥٨٤] الآية.

وقد أخبر – سبحانه - أن الجن خُلقوا قبل الإنس، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۞ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾[٥٨٥] الآية.

صفاتهم الخَلقية: الجن أرواح قائمة في أجسام لطيفة نارية، قادرة على التشكل بصور مختلفة، يأكلون ويشربون، وفيهم الذكر والأنثى، ويتناكحون ويتناسلون ويموتون طائفة بعد طائفة، كما هو في الإنس. ففي الصحيح من دعائه ﷺ: ﴿اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الحَيُّ الذي لا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ﴾[٥٨٦].

---

[٥٨٤] سوة الرحمن: ١٤، ١٥.
[٥٨٥] سورة الحجر: ٢٦، ٢٧.
[٥٨٦] صحيح مسلم، برقم ٢٧١٧.

وفي القرآن الكريم: ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾[٥٨٧] الآية.

ولما كان الجن أجساماً لطيفة نارية فإن الإنس لا يرونهم في الصورة التي خلقهم الله تعالى عليها، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ﴾[٥٨٨] الآية.

وأما رؤيتهم إذا تشكلوا في غير صورهم فهي محققة الوقوع، يدل على ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: ﴿وَكَّلَنِي رَسولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فأتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فأخَذْتُهُ وقُلتُ: واللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إلى رَسولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إنِّي مُحْتَاجٌ، وعَلَيَّ عِيَالٌ، ولِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَّيْتُ عنْه، فأصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: يا أبَا هُرَيْرَةَ، ما فَعَلَ أسِيرُكَ البَارِحَةَ؟ قَالَ: قُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: أَمَا إنَّه قدْ كَذَبَكَ، وسَيَعُودُ، فَعَرَفْتُ أنَّه سَيَعُودُ؛ لِقَوْلِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ: إنَّه سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فأخَذْتُهُ، فَقُلتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إلى رَسولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: دَعْنِي؛ فإنِّي مُحْتَاجٌ، وعَلَيَّ عِيَالٌ، لا أعُودُ، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فأصْبَحْتُ، فَقَالَ لي رَسولُ اللَّهِ ﷺ: يا أبَا هُرَيْرَةَ، ما فَعَلَ أسِيرُكَ؟ قُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: أَمَا إنَّه قدْ كَذَبَكَ وسَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ،

---

[٥٨٧] سورة الأحقاف: ١٨.
[٥٨٨] سورة الأعراف: ٢٧.

فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فأخَذْتُهُ، فَقُلتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إلى رَسولِ اللَّهِ ﷺ، وهذا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ أنَّكَ تَزْعُمُ لا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ، قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بهَا، قُلتُ: ما هُوَ؟ قَالَ: إذَا أوَيْتَ إلى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّوم...﴾[٥٨٩]، حتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ؛ فإنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، ولَا يَقْرَبَنَّكَ شَيطَانٌ حتَّى تُصْبِحَ. فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فأصْبَحْتُ، فَقَالَ لي رَسولُ اللَّهِ ﷺ: ما فَعَلَ أسِيرُكَ البَارِحَةَ؟ قُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، زَعَمَ أنَّه يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: ما هي؟ قُلتُ: قَالَ لِي: إذَا أوَيْتَ إلى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ مِن أوَّلِهَا حتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ: اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّوم...﴾، وقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، ولَا يَقْرَبَكَ شيطَانٌ حتَّى تُصْبِحَ - وكَانُوا أحْرَصَ شَيءٍ علَى الخَيْرِ- فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: أَمَا إنَّه قدْ صَدَقَكَ، وهو كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَن تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يا أبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: ذَاكَ شَيطانٌ[٥٩٠].

وهكذا تكررت العملية ثلاث مرات.

ومثله وقع نظيره مع أبي أيوب الأنصاري وأبَي بن كعب، ففي حديث أبَي بن كعب ﴿أنَّه كان لهم جَرينٌ فيه تمرٌ وكان ممَّا يَتَعاهدُ فيجِدُه ينقُصُ فحرسه ذاتَ ليلةٍ فإذا هو بدابَّةٍ كهيئةِ الغلامِ المُحتلِمِ قال فسلَّم فردَّ عليه السَّلامَ فقلتُ ما أنت جنٌّ أم إنسٌ قال جنٌّ فقلتُ ناوِلْني يدَك فإذا يدُ كلبٍ وشعرُ كلبٍ فقلتُ هذا خلقُ الجنِّ فقال لقد علِمتِ الجنُّ أنَّ ما فيهم من هو أشدُّ منِّي. فقلتُ:

---

[٥٨٩] سورة البقرة: ٢٥٥.

[٥٩٠] صحيح البخاري، برقم ٢٣١١.

ما يحمِلُك على ما صنعتَ؟ قال بلغني أنَّك تُحبُّ الصَّدقةَ فأحببْتُ أن أُصيبَ من طعامِك. فقلتُ ما الَّذي يُحرِزُنا منكم قال هذه الآيةُ «آيةُ الكرسيِّ». قال فتركتُه، وغدا أبي إلى رسولِ اللهِ ﷺ فأخبره، فقال صدق الخبيثُ[٥٩١].

وقد أخبر سبحانه عن قوة الجن، وأن منهم العفاريت الأشداء الأقوياء، فسخّر لسليمانَ ـ عليه السلام ـ جنوداً قوية من الجن تعمل بين يديه وتصنع من المحاريب والتماثيل والجفان الكثيرة والقدور الكبيرة. قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[٥٩٢] الآية. وقال تعالى إخباراً عن سليمان ـ عليه السلام ـ وتسخير الجن له ومدى قوتهم: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾[٥٩٣]. وذلك أن سليمان ـ عليه السلام ـ لما أراد إحضار عرش بلقيس من بلدةِ قبيلةِ سبأ في اليمن إلى مقام سليمان في الشام قبل أن تصل إليه بلقيس ومعها وزراؤها، ليريَها عظمة قدرة الله تعالى، والقوة التي مكنه الله تعالى منها ومُلْكه العظيم.

مطالبة الجن بالتكاليف الشرعية: قال الله تعالى إخباراً عما يقال لكفار الجن والإنس يوم القيامة: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ

---

[٥٩١] الترغيب الترهيب، للمنذري، ج٢، ص٣١٧.
[٥٩٢] سورة النمل: ١٧.
[٥٩٣] سورة النمل: ٣٨.

أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾[٥٩٤].
فلقد دل على تكليفهم وتوجه الخطاب الشرعي عليهم كما هو في الإنس ولذلك اعترفوا بأنهم كافرون وشهدوا على أنفسهم بالكفر.
ومما يدل عليه تكليف الجن بالشرائع السماوية قولُه تعالى:

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ۞ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ۞ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٥٩٥]. وقد صح أن نفراً من الجن جاؤوا إلى رسول الله ﷺ، وهو يقرأ ببطن نخلة، وهي اسم موضع على بُعد ليلة من مكة المكرمة، وكانوا من جن نُصيبين. فلما سمعوه قالوا أنصتوا - كما أخبر الله تعالى عنهم - روى ذلك الحاكم وابن أبي شيبة بإسناد جيد، كما في شرح المواهب. وقد روى الترمذي وغيره عن جابر قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه، فقرأ سورة الرحمن من أولها إلى آخرها، فسكتوا فقال: «لقد قرأتها على الجن، فكانوا أحسنَ مردوداً منكم! كنت كلما أتيت على قوله: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذّبان﴾ قالوا: لا بشيءٍ من نعمك ربَّنا نكذّب، فلك الحمد»[٥٩٦].

---

٥٩٤ سورة الأنعام: ١٣٠.
٥٩٥ سورة الأحقاف: ٢٩-٣١.
٥٩٦ سنن الترمذي، برقم ٣٢٩١.

وهذا يدُل على أن الجن قد علِموا أنهم مقصودون بهذا الخطاب، فلذلك أحسنوا الجواب.

أصناف الجن: منهم الصالح، ومنهم الطالح، ومنهم المسلم، ومنهم الكافر، قال الله تعالى إخباراً عنهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾[٥٩٧] إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ۞ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾[٥٩٨].
وفرق كبير بين القاسط والمقسط، فالقاسط هو الظالم الجائر الناكب عن الحق، وأما المقسط فهو العادل المستقيم على الحق.

أسماء الجن: قال الحافظ ابنُ عبد البر: إذا ذَكروا الجن خالصاً قالوا: جنيّ، فإن أرادوا أنه ممّن يسكن مع الناس قالوا: «عامر» والجمع «عُمّار»، فإن كان ممّن يعرض للصبيان قالوا: «أرواح»، فإن خبث وتعرض للوسوسة قالوا: «شيطان»، فإن زاد وقوي أمره قالوا: «عِفريت».

التحصن والتحرز من وساوس الشياطين ومضارهم: أحدها: التعوذ بالله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٥٩٩]. وقد علّم النبي ﷺ أمته وجوهاً من التعوذ وذلك بحسب مقتضى الحالات، كالتعوذ حالة الغضب «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»،

---

[٥٩٧] سورة الجن: ١١.
[٥٩٨] سورة الجن: ١٤، ١٥.
[٥٩٩] سورة فصلت: ٣٦.

والتعوذ عند رؤيا يكرهها ولا يذكرها: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، والتعوذ عند دخول الحمام؛ أو عند قضاء الحاجة: أعوذ بالله من الخُبث والخبائث».

ومن أعظم التعويذات الإكثار من قراءة المعوذات: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[٦٠٠]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾[٦٠١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[٦٠٢].

ثانيها: التسمية: باسم الله الرحمن الرحيم، وذلك على آنية الطعام، وعند الأكل، وعند الشراب، وعند دخول المَرء بيته وخروجه منه، وعند ركوبه السيارة ،وعند إرادة الجماع.

تنبيه: قال بعضهم: تقول عند الأكل: «بسم الله الرحمن الرحيم»، مستنبطاً هذا التمام من آية التعوذ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾[٦٠٣]، فهل نتعوذ قائلين: «أعوذ بالله»؟ أم «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»؟

ثالثها: قراءة آية الكرسي، وتقدم عن أبي هريرة في الصحيح أن من قرأها إذا أوى إلى فراشه فإنه لن يزال عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح. وكذلك قراءة خواتيم سورة البقرة ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي

---

[٦٠٠] سورة الإخلاص: ١.
[٦٠١] سورة العلق: ١.
[٦٠٢] سورة الناس: ١.
[٦٠٣] سورة الأعراف: ٢٠٠. وسورة فصلت: ٣٦.

الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ...﴾[٦٠٤]، فعن أبي مسعود عقبة بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿مَن قرَأ الآيتينِ مِن آخِرِ سورةِ البقرةِ في ليلةٍ كفَتَاه﴾[٦٠٥]؛ أي «كفتاه شر الشياطين والآفات والمساوىء والمكاره. وقيل: حسبُه بهما فضلاً وأجراً، أو إنهما أقل ما يجزئ من القراءة في قيام الليل.

فـائـــدة: إن قراءة سورة البقرة في البيت تنزل عليه الخير والبركة، وتبعد عنه الشياطين، وتحفظ أهل البيت من السحَرة، كما جاء في الحديث عن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال: ﴿اقرؤوا البقرةَ؛ فإنَّ أخذَها برَكة وتَركَها حَسْرة، ولا تستطيعُها البَطَلة﴾[٦٠٦]. فالمواظبة على تلاوتها والعمل بها نماء وبركة في العمل والعمر والرزق، وترك تلاوتها حسرة وفوات خير وبركة، ولا يستطيعها البطلة، أي السحرة، لأن لها سلطاناً وقوة.

رابعها: قول :«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يُحيي ويميت وهو على كل شيء قدير». تقال في كل يوم مئة مرة. ف عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أن من فعلها كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مئة حسنة، ومُحيت عنه مئة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان في يومه حتى يُمسي[٦٠٧].

---

٦٠٤ سورة البقرة: ٢٨٤.
٦٠٥ صحيح ابن حبان، برقم ٢٥٧٥. ورواه البخاري في صحيحه بلفظ آخر، برقم ٤٠٠٨.
٦٠٦ صحيح مسلم، برقم ٨٠٤.
٦٠٧ صحيح البخاري، برقم ٣٢٩٣.

خامسها: الإكثار من ذِكر الله تعالى، فإن ذكر الله تعالى هو الحصن الحصين للذاكر. قال ابن عباس، رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾[٦٠٨]: «الشيطان الجاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفَل وسوس، فإذا ذكر الله خنس». وذلك لأن للذاكر معية إلهية خاصة، قال رسول الله ﷺ: ﴿قال اللهُ تبارَك وتعالى: أنا مع عبدِي ما ذكَرني وتحرَّكَتْ بي شَفَتاهُ﴾[٦٠٩]، ولأن ذاكر الله تعالى تحفّ به الملائكة، فكيف يستولي عليه الشيطان؟ نسأل الله أن يجعلنا من ﴿الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾[٦١٠].

ومن أجمع التعاويذ وأقواها تأثيراً ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ﴿رأيتُ ليلةَ أُسريَ بي عفريتًا من الجنِّ يطلبني بشعلةٍ من النارِ كلما التفتُّ رأيتُه. قال جبريلُ عليهِ السلامُ: ألا أُعلِّمُك كلماتٍ تقولُهنَّ فتنطفئَ شعلتُه؟ فقلتُ: بلى. فقال لي جبريلُ: قل أعوذُ بوجهِ اللهِ الكريمِ، بكلماتِ اللهِ التامَّاتِ، اللاتي لا يُجاوزهنَّ بَرٌّ ولا فاجرٌ، من شرِّ ما نزل من السماءِ، ومن شرِّ ما يعرجُ فيها، ومن شرِّ ما ذرأ في الأرضِ، ومن شرِّ ما يخرجُ منها، ومن فتنِ الليلِ والنهارِ، إلا طارقًا يطرُقُ بخيرٍ﴾[٦١١].

---

[٦٠٨] سورة الناس: ٤.

[٦٠٩] صحيح ابن حبان، برقم ٨١٥.

[٦١٠] سورة الأحزاب: ٣٥.

[٦١١] بذل الماعون في فضل الطاعون، لابن حجر العسقلاني، وللحديث روايات بطرق أخرى وألفاظ متقاربة، للعقيلي والذهبي والبوصيري.).

مصير عالم الجن يوم القيامة: في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[٦١٢]: لفظة «مَن» عامةٌ تتناول صِنفيْ الجن والإنس، بدليل قوله سبحانه بعدها: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٦١٣]، فإنه خطاب للجن والإنس. وهكذا فمصير عالم الجن يوم القيامة كمصير عالم الإنس تماماً.

والله أعلم.

أسأل الله تعالى أن يدخلني وإياكم في زمرة عباده الذين قال الله فيهم:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾[٦١٤].

وصلى الله على سيدنا وشفيعنا محمد، وعلى آله الطاهرين، وأصحابه الطيبين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، عددَ خَلق الله تعالى، ورضاء نفسه، وزِنةَ عرشِه، ومِدادَ كلماته، وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

---

[٦١٢] سورة الرحمن: ٤٦.
[٦١٣] سورة الرحمن: ١٣.
[٦١٤] سورة الأحقاف: ١٦.

تم بحمد الله

المحتوى

المبحث	الصفحة
الإهــداء	٥
مـقـدمـة	٦
عالمية الإسلام	٩
الإسلام والسلام	١٣
الوصايا العشر في الإسلام	١٧
الإسلام والنظريات الحديثة	٢٠
الإسلام والغرب	٢٢
كيفية تصحيح صورة المسلمين والإسلام في العالم	٢٨
المسلمون في الخارج	٣٠
حال أمتنا الإسلامية	٣٣
مصالح الشرائع	٣٨
السمع والطاعة	٤١
التشدد في غير موضعه	٥٠
عزة الجانب	٥٤
مجازفة في التصنيف	٥٦
حياة سعيدة	٥٨
اختلاف القلوب	٦٠
حال المسلمين	٦٢
الاشتغال بالقرآن الكريم	٧٠

المبحث	الصفحة
اللهجات في القرآن الكريم	٧٢
للإلهام نصيب	٧٥
إبطال القرينة بقرينة أقوى منها	٧٦
استنباط غريب	٧٦
توضيح (ولا يأتل أولو الفضل)	٧٨
«لا أدري»، و«الله أعلم»	٨١
وجوب الرجوع إلى المتخصصين	٨٣
أشهر ألقاب من يقوم بمهنة التعليم	٨٦
فذكر إن نفعت الذكرى	٨٨
الإنسان والمستقبل	٩٠
توضيح (الحسنة العظيمة يغفر الله بها السيئة العظيمة	٩٤
إطلاق «الضلال» في القرآن الكريم	٩٧
وفي السماء رزقكم	٩٩
تفسير آية (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وينهى عن الفحشاء والمنكر)	١٠١
نطفة أمشاج	١٠٥
معرفة العربية فرض	١٠٨
حق لهذه الواو أن تكتب بماء العينين	١١١
عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين	١١٢
أبو بكر الصديق رضي الله عنه	١١٣
عمر بن الخطاب رضي الله عنه	١١٣
عثمان بن عفان رضي الله عنه	١١٤
علي بن أبي طالب رضي الله عنه	١١٥
ومن فقه الصحابة الكرام	١١٦
اللغة العربية والشريعة الإسلامية	١١٧
الخليفـــــة	١٢١
لفظ «الأمة» في القرآن	١٢٣
فضيلة الحمد	١٢٤

المبحث	الصفحة
فضيلة الدعاء	١٢٦
كل يوم هو في شأن	١٢٨
الطبيعة البشرية	١٢٩
خير مفسر للقرآن هو القرآن نفسه	١٣٢
وإن من شيء إلا يسبح بحمده	١٣٤
إهداء ثواب قراءة القرآن إلى الأموات	١٣٦
البدعـــــة	١٤١
المذاهب الفقهية نعمة وثروة	١٤٨
معنى الأداة ودورها في التفسير	١٥٨
العلمية وروحها	١٦٠
القـــراءة والتعـــلم	١٦٥
فوائد متنوعة	١٦٧
الإمـــام ساجـد	١٦٧
باب ما جاء في الصلاة والسجدة عند الشكر	١٦٨
باب ما جاء في أن الصلاة كفارة	١٦٨
حقـــوق عليـــك	١٦٩
الصـــــوم	١٦٩
الطاقة والوسع	١٧٢
جـــــاء العـزيـز الغائـــب	١٧٢
شهر رمضان مبارك عليكم	١٧٥
من فضائل هذا الشهر الكريم	١٧٥
حذار حذار	١٧٦
عيسى بن مريم عليه السلام حي	١٧٧
أصـــول العوالـــم	١٨٤
تمثلات الملائكة عليهم السلام	١٨٧
عبادة الملائكة وخشيتهم من الله تعالى	١٨٨
تكريم الله تعالى ملائكته عليهم السلام	١٨٩

المبحث	الصفحة
رؤساء الملائكة عليهم السلام	١٩٠
الملائكة تصلي على الصف الأول	١٩٠
الملائكة تصلي على من جلس في مصلاه	١٩١
ملائكة الرحمة والبركة	١٩١
عالم الجن	١٩٢
خلق الجن	١٩٢
صفاتهم الخلقية	١٩٢
مطالبة الجن بالتكاليف الشرعية	١٩٥
أصناف الجن	١٩٧
أسماء الجن	١٩٧
التحصن والتحرز من وساوس الشياطين ومضارهم	١٩٧
تنبيه (كيفية البسملة)	١٩٨
فائدة (قراءة سورة البقرة)	١٩٩
مصير عالم الجن يوم القيامة	٢٠١
المحتوى	٢٠٣

المؤلف في سطور

الدكتور يحيى مصري، من مواليد مدينة حلب، أستاذ النحو والصرف في جامع حلب، دكتوراه في النحو والصرف وفقه اللغة، والفقه على المذاهب الأربعة، وتفاسير القرآن الكريم.

مقيم في أمريكا، له عدد من الكتب المنشورة والمخطوطات، أبرزها:

١- تحقيق شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، صادر عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بالسعودية.

٢- لغتنا العربية، فرائد وفوائد، صادر عن «منشورات كتاب» بواشنطن.

٣- الشاهد النحوي ووجه الاستشهاد، صادر عن دار عكرمة بدمشق.

٤- هذه كناشتي، اعتنى بنشرها د. أحمد محمد ويس، صادر عن «شرفات للنشر والدراسات».

٥- الوجيز في فقه الخلفاء الراشدين وابن عباس وابن مسعود. (نسخة إلكترونية).

٦- مشكل إعراب القرآن الكريم. (قيد النشر).

النحو القرآني. (قيد النشر).

٧- اللآلي من كلام الغزالي. (قيد النشر).

٨- لآلئ التفسير. (قيد النشر).

٩- المسلمون وغير المسلمين. (قيد النشر).

١٠- مقالات وخاطرات. (قيد النشر).

١١- موضوعات قيمة. (قيد النشر).

للتواصل:

https://www.facebook.com/profile.php?id=100002046860416

مجموعة مقالات تعد خلاصة فكر وتجربة المؤلف الاجتماعية والعلمية والإرشادية، حاول فيها إظهار الصورة الجوهرية للإسلام من خلال توضيح مقاصد الشريعة، بعيداً عن الصورة النمطية التي روج لها المتشددون من جهة والإعلام المضاد من جهة أخرى، مبشراً لا منفّراً، من خلال النصوص القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة واجتهادات الرعيل الأول من الصحابة الكرام، التي تقدم الرحمة ورعاية المصلحة المشتركة بين الفرد والمجتمع بتوازن لا يضام فيه الفرد ولا ينحّى المجتمع، على اختلاف التوجهات والديانات.